لقد تفتحت الأزهار ولم يعد من حق أحد -ولا بوسعه- أن يغلق بتلاتها عليها.

بدايـــــات

بأقلام: شباب عربي موهوب

٥- ليلة القبض على ميت

بدايـــات

٥

ليلة القبض على ميت

شباب عربي موهوب

*

جميع الأعمال المنشورة في هذا الكتاب
تعبر عن رأي أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

*

تصحيح لغوي: أ. محمد عيد

*

الغلاف: بريشة. هشام سيد

*

الإشـــراف العام : أ. محمد ســـامي

*

رقم الإيداع :٢٠٠٦/٢٥١٠٠

دار ليلى للنشر والتوزيع والإعلان:
٢٣شارع السودان – الدقي
هاتف:٣٣٧٠٠٤٢ – محمول: ٠١٢٢٣٨٨٥٢٩٥
الموقع:www.darlila.com
البريد الإليكتروني : dar-lila@hotmail.com

٥

ليلة القبض على ميت

دار ليلى
للنشر و التوزيع و الإعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة السلسلة

بقلم: د. أحمد خالد توفيق

يبدو أنني شخت حقًا!..

في كل يوم أتلقى مجموعة قصصية أنيقة، أو أسمع خبرًا طيبًا عن واحد من (أبنائي / أخوتي الصغار / أصدقائي) -حسب رأيك في سني- الذين اعتدت أن يقرءوا لي فصرت أقرأ لهم، بل أحب ما أقرأه!.. وتنفجر الأسماء: (محمد فتحي).. (أحمد العايدي).. (محمد علاء).. (محمد أحجيوج).. (ميشيل حنا)... الخ..

رواية (أحمد العايدي) تصير حدث العام، و(محمد علاء) يحاضر في أدب الأطفال، و(محمد سامي) صار صاحب دار نشر... الخ.

هنا يحلو للمرء أن يعتقد أن له دورًا ولو كان هامشيًا في أن يحب هؤلاء الأدباء، وهو تصرف شبهه أديبنا الشاب المشاغب (محمد علاء) بسلوك من يرون شخصًا أثناء التقاط صورة، فيتزاحمون وراءه ويحاول كل منهم أن يظفر بجزء من الكادر.. (لم يكن يتكلم عني بالمناسبة!)

قرأت للكثيرين على شبكة الإنترنت، لكن برغم هذا يظل للكلمة المطبوعة سحر لا شك فيه. يقول د.(جلال أمين): "انظر إلى طريقة تعاملنا مع الكلام المكتوب بخط اليد، وموقفنا من نفس الكلام إذا كان مطبوعًا في كتاب أو حتى مكتوبًا بالآلة الكاتبة".

من حق كل من يكتب جيدًا أن يرى كلماته مطبوعة، فهذا يمنح إبداعه طولاً وعرضًا وارتفاعًا ويضعه أمام مسئولياته، بعد ما كانت كلماته مجرد تهاويم يحتفظ بها في درج مكتبه وثنايا عقله.

لكن التعامل مع هذه الوسيلة ليس بالأمر الهين.. (مارك توين) شبه المطبعة بصنم وثني يطلب القرابين، فلا يمكن أن تقدم له قرابين غير منتقاة بعناية، ومشكلة المبدعين الشباب إنهم يطلبون النشر بمجرد أن يكتبوا أول بضعة أسطر، بينما أي إسكافي -والكلام ما زال لـ (مارك توين)- لا يمكن أن يجد الشجاعة كي يحاول بيع أول حذاء صنعه. فقط تتلقى الكتابة هذه المعاملة القاسية من بين كل المهن في العالم.

هذه هي نقطة الحرج التي طالما صادفتها، وهي التي حاولت دار

(ليلى)، وصديقنا النشيط (محمد سامي) إيجاد حل وسط بصددها.

محاولة التوفيق بين النشر للجميع والنشر لمن يستحق.. هذا يحتاج إلى عين حساسة ونظرة صائبة لا شك في أنه يملكها.

هذه ظاهرة جديدة وعلى قدر علمي لم تتكرر من قبل: ناشر شاب ينشر لكتاب من الشباب، وتتكون بالتدريج حركة أدبية موازية تتجنب عالم الكبار المعقد المنغلق على نفسه، والذي لا يعطي فرصًا بفرض وجودها أصلاً.

هذه حركة أدبية يخلقها جيل يحاول ألا يكرر أخطاء الكبار، وقد أثار ذهوله كمّ ما أضاعوه وما أفسدوه.

أتمنى لهذه التجربة أن تنجح وتزدهر، وأتمنى لكتابها ألا يكفوا عن التعلم والقراءة، وأتمنى لدار (ليلى) ألا تتوقف عن ابتكار الأفكار الجديدة.

لقد تفتحت الأزهار ولم يعد من حق أحد -ولا بوسعه- أن يغلق بتلاتها عليها.

* * *

القصص

يوميات مسن

بقلم: محاسن محمد كمال الدين

في الحقيقة هناك يوميات ويوميات.. يوميات طبيب مشغول، يوميات كاتب مشهور، يوميات أستاذ مغمور.

لذلك هذه اليوميات تختلف؛ هي رسالة أتمنى أن تصل.. إنها يوميات مسن.

* * *

جاء اليوم الذي عملت له ألف حساب، جاء اليوم الذي سأتحول فيه من رجل مهم ذي قدر وسلطة إلى رجل لا حاجه إليه، جاء يوم إحالتي إلى التقاعد.. ماذا سأفعل.. كيف سأقضي وقتي.. والأهم من ذلك من في حاجة إليّ؟ بدأت في أول الأمر أحاول شَغل وقتي دون الشعور بالملل، كنت أخرج للصلاة في المسجد حتى أضيع أكبر قدر ممكن من الوقت، شغلت وقتي بالجرائد والمجلات ومشاهدة التلفزيون.. ويوما بعد يوم أصبحت لا أخرج للصلاة في كل الأوقات.. بل كثيرًا ما كنت أصلي الفرض في المنزل، تحول الحال إلى أن أضحيت أخرج لصلاة الجمعة - فقط - في المسجد، وبدأت أملّ القراءة شيئًا فشيئا.. واعتلتْ صحتي.. وكتبت لابني المسافر لإحدى الدول الأوروبية - حيث يعمل ومعه أسرته - أصف له ما أعانيه من ملل بعد إحالتي للتقاعد خاصة وأن

زوجتي قد توفت منذ عامين.. وكالمعتاد اتصل بي ليهوّن عليَ ويشير عليَ ببعض الأنشطة والأعمال، مثل زيارة الأقارب والذهاب إلى النادي.. الخ.

وكنت أحاول ممارسة ما يشير عليَ به، إلا أنني مع مرور الوقت يتسرب إليَ الملل، ووعدني ابني أنه - بإذن الله- سيحضر للقاهرة من أجلي رغم ما ذكره لي من انشغاله الشديد، وصعوبة حصوله علي أجازات لارتباط الأولاد بالمدارس وحاجة العمل إليه.. وغيرها من أسباب.

لم أجد أمامي إلا الإكثار من زيارة الطبيب المعالج بحجج كثيرة غير متابعة حالة الضغط والسكر.. وطبعا كالمعتاد دخلت في دوامة التحاليل والإشاعات ليتأكد الطبيب من حقيقة شكواي وإحساسي بالمرض.

كنت في زيارة للطبيب، وطلب عمل بعض التحاليل الطبية، وذهبت إلى معمل التحاليل وأنا أعاني من اليأس متوهمًا بأنه لا فائدة وأن صحتي (في النازل)، وأثناء عودتي من المعمل سمعتُ صوتَ موسيقي وعزفٍ وأطفالٍ تغني، وقد اقتربت من مصدر الصوت لأجد أمامي دار أيتام.. قال لي بواب الدار: "إن الأطفال يتمرنون علي أغاني عيد الأسرة في الأسبوع القادم".

وقفت أمام الدار وقد دخل بصيص من السعادة إلى قلبي من جمال الكلمات التي أسمعها، والصوت النابع من القلب، وقد نمت هذه الليلة نومًا قلقًا

لعزمي الذهاب إلى هذه الدار مره أخرى في الصباح.

وفعلاً قمت مبكرًا في هذا اليوم وذهبت إلى الدار.. وأثناء صعودي الدرج وجدت أمامي فتاتين تنزلان سلم الدار، وقد تبادلت التحية معهم وسألتهما: "مَنْ تكونا"؟

وقد علمت أنهما ضمن الأمهات البديلات بالدار، وفي الحال وجدتُ نفسي تحدثني، ولم لا أكون جدًا لهؤلاء الأطفال؟..

وفعلاً قابلتُ رئيسَ مجلس الإدارة وعرضت عليه فكرة أن أكون جَدًا لهؤلاء الأطفال.. ابتسمَ في أول الأمر وذكر أنها تجربه غير مسبوقة ووعدني بدراستها، وقد تركت رقم هاتفي وعنواني، وهممت بالانصراف شاكرًا له اهتمامه، ولكنني خرجت متثاقلاً أنظر يمنة ويسرة لأجد أطفالاً وأمّهات بديلات في عيونهم الحب والحنان.. كنت لا أريد الخروج من الدار.. ذهبت إلى منزلي وعندي ما يشغلني ولدي أمل؛ فربما قبلت الدار بتعيينى جَدًا للأطفال الأيتام، وأخذت أنتظر وأعيش على أمل.. بل إنني لم أترك تليفوني المحمول من يدي حتى ولو ذهبت إلى الحمام؛ تحسبًا لاتصال إدارة الدار بي.. ويا فرحتي، اتصل مدير الدار بي وطلب مني الحضور إليهم، وقد كان لقاءً عظيمًا ضم عددًا من أعضاء مجلس الإدارة، حيث تناقشوا معي عن الدور الذي سأقوم به، وقد كان ردي بأن دوري سيكون كدور الجَدّ المعروف تمامًا.. مصدرَ الحب والحنان والحكمة،

التي تُمكّن الجَدّ من حل بعض المشاكل التي قد يعجز عن حلها الأب والأم.

وقد رحبوا بانضمامي إليهم وتم الاتفاق علي أن أقضي معهم كل يوم ساعتين، وتركوا لي حرية اختيار البرنامج الذي سأقوم به.. وحين ذهبت لاستلام عملي وجدت حجرة معدة لي، وعليها لافته كبيرة كُتِبَ عليها (الجد).. حينما دخلت الحجرة لأول مرة تسارعتْ دقات قلبي وأحسست بالخوف من عظم المسئولية الملقاة علي عاتقي، ومدي قدرتي علي عمل شيء لهؤلاء الأطفال.

في البداية أحضرتْ الأمهات أطفالهن لتحيتي وتعريفهم بي، وقد سر الأطفال لأن لهم جَدًّا، وكنت أقضي الساعتين يوميًا بينهم في سعادة وهناء رغم كثرة المشاكل بين الأطفال، وبين أمهاتهم البديلات.. وقد كنت أبادر بحل بعض المشاكل.. وأحيانا تنشب مشاكل بسيطة ولكنها تحتاج إلى حكمة في حلها، وأذكر أنني سمعت صراخًا، ورأيت أمًّا بديلة تجري وراء أحد الأطفال الذي كان عاريًا ويرفض لبس الملابس التي اختارتها له أمه؛ بحجة أن هذا اللون لا يعجبه.. والأمّ تصر علي أن يلبس هذه الملابس، يومها طلبت من الأمّ أن تترك له الفرصة لاختيار ملابسه فربما كان فنانًا وكان ذا ذوق خاص، خاصة وأنه تجاوز الثالثة من عمره.. ومرة أخري أتاني طفلٌ صغير اسمه (أيمن) صارخًا: "عادل عضني يا جدّي"..

وقد أحضرت(عادل) لأعرف سبب عضه لـ(أيمن)، حيث علمت أن السبب أنه أخذ لعبته؛ بينما أنكر (أيمن).. وقد علمت أن جميع اللعب شكل واحد وليس بينها ما يميزها.. وقد طلبت من الأمّ البديلة أن تختار لكل منهم لعبة مختلفة عن أخيه حتى في لونها.. والمزيد من المشاكل اللذيذة التي كنت أشعر بسعادة غامرة حين يمكنني المساهمة في حلها.. نسيت الدنيا مع هؤلاء الأطفال، وكنت قبل الذهاب إليهم أذهب إلى محلات بيع اللعب لأنتقي منها المناسب أهدي به الطفل المؤدب والملتزم والمجتهد، وكنت دائما أحفزهم للحصول علي اللعب.. وقد كانت الساعتان غير كافيتين، فكنت أمكث معهم من الصباح وحتى الظهر.. تطور الأمر إلى أنني كنت أعود إليهم في المساء أحيانا كثيرة.. ورأيت أنه لا غنى لي عنهم، ولم أعد أشكو لابني المسافر في الخارج ولا أصحابي – القليلون - الذين لم يعودوا يجدونني في المنزل معظم الأوقات.. ونسيت الطبيب ومتابعته.. إلا أنني كنت أذهب إليه علي فترات متباعدة.. وأذكر أنه بشرني بأن الضغط والسكر تمام.. والاكتئاب الذي أحسست به في المرات السابقة قد زال..

وفي إحدى جلسات مجلس إدارة الدار تم تكليفي بالإقامة الدائمة مع الأطفال، لحاجة الأطفال لي.. وإحساسهم بتحسن العلاقات في الدار، وقد قبلت حبّا لهؤلاء الأطفال، ونظمت لهم برنامج قصص

وحكايات.. كنت أجمع المتقاربين في السن لأحكي لهم قصة، وفي نهاية القصة كنت أسألهم عن الدرس الذي تعلموه من هذه القصة.. وقد لاقي موضوع القصص والحكايات اهتمامًا كبيرًا من الأطفال.. وقد كان حبي لهم يزداد كل يوم بعدما أسمع التحية الكبيرة عند انتهاء قصة ما.. وحينما يأتوني في الصباح قبل الذهاب إلى فصول الحضانة والمدرسة: "صباح الخير يا جدو".

أي سعادة أعيشها أنا.. لا أصدق أعطيتهم حب فردوه إلى قدر الحب أضعاف.. أنظر في عيونهم وأنا أحدثهم فأجدها معبرة صادقة.. عشت سعادة أفتقدها منذ زمن بعيد أكثر بكثير من سعادتي أيام كنت لا أزال في العمل.. انظروا السعادة طفل يأتيني مسرعا: "جدو أخذت نجمة لخطي الجميل".

آخر: "جدو أخذت عشرة على عشرة".

ثالث: "جدو حكيت القصة في الفصل وصفق لي الجميع"..

أحس ابني المسافر أنني لا أشكو فتوهم أنني أخفي عليه شيئًا، وقد حاول أن يعرف ولكنني أؤكد له كلما اتصل أنني بخير.. وقد أرسل إليّ خطابًا ظننا بأن ما طلبه مني سيسعدني.. لقد طلب مني أن أجهز أوراقي لكي يستدعيني للذهاب إليه، والإقامة معه ومع زوجته وأولاده.. وكم حرت في ذلك اليوم، وكم عجزت أن أقول كلمتي وأرد عليه.. وقد أعطيت نفسي فرصة؛ فتغيبت عن الدار يومًا لأري هل

سيمكنني أن أترك هؤلاء الأطفال، وهذا الحب وهذه السعادة التي كلما أعطيت؛ أخذت أكثر وأكثر.. وذهبت إلى المصالح الحكومية لاستخراج الأوراق المطلوبة وأنا في حيرة شديدة من أمري.. ماذا أفعل هل أترك تلك السعادة وأنا في قمتها.. وبدلاً من الذهاب لاستخراج الأوراق، ذهبت إلى الدار وقد أتاني الأطفال مهرولين هاتفين: "جدو جاء"..

وانهمر الدمع من عيني، وقلبي يقول:" لن أترككم ما حييت".

قصص الثورة

بقلم: فضل النعيمات - سوريا

القصة الأولى: ثورة إنسان واحد

اجتمع أهالي حارة (الشوك) في الساحة العامة متشوقين لكل جيد.. وجديد اليوم منصة إعدام أعدها الجلاد ذو النظرة الخاشعة بكل تمهل، مراعيًا مواصفات الإعدام ومعايره الحديثة المتبعة في الحارة، والمسنونة في كل من أمريكا وروسيا، والإتحاد الأوروبي، والصين، وبنغلادش، ومنظمة حقوق الإنسان وحقوق الطفل.

أجتمع أهالي حارة (الشوك) وأخذوا أطفالهم معهم ليشاهدوا ما يترسخ في عقولهم ويحرمهم النوم واللعب والشقاوة لأيام عديدة.

اجتمع أهالي حارة (الشوك) وراحوا يهتفون بالعبارات التي تصف المحكوم عليه بأوصاف بذيئة، ويتهمونه بقلة الأدب والخروج عن صف التوحد العربي المرصوص بعناية وتمهل لمواجه قوى الإمبريالية العفنة، التي لا تهدف إلا للنيل من طبقات الشعب الكادح من صغار كسبة وحرفيين ومزارعين ومعلمين، وضرب الصمود العربي في مواجهة قوى الرجعية العالمية.

أجتمع أهالي حارة (الشوك) اجتماعًا خاصًا، مشوبًا بالحسد على من سيفارق عيشة لا تعرف

الهناء وتغتال ضوء القمر دون سابق إنذار، حينما يظهر بين سحب رمادية حزينة المنظر.

والمشنوق اليوم والذي ترنحت جثته ثلاثة ترنحات نزقة لفظ من بعدها روحه، كان جرمه أنه بصق دون حياء على تمثال صنع من الحجارة والحديد، موضوع في قلب الساحة.. وحينما سأله القاضي عن دوافعه الذاتية، ومحرضيه، ومعاونيه ومساعديه، وشركاه ومؤازريه.. وأوضح له أن الصدق أو الكذب لن ينجيه من حبل مشنقة يرحب دائمًا بالأعناق المتدلية؛ قال المحكوم:

- "دوافعي: الشعب وأنا ونفحة ثورة غريبة اجتاحتني فجأة، وقضيتنا الخالدة ورغيف الخبز.. محرضي: الجلاد و.. وأنت.. معاوني ومساعدي: بصاقي"

وصمت لحظة كمن يتذكر شيئًا، وقال:

- "بصاقي ولساني وغددي اللعابية.. شريكي ومؤازري: شعبٌ أبيٌّ متوجٌ بالصمتِ وعار من الصحة."

فأمر القاضي فورًا بالقبض على المتهم شعب.. وزجه في السجن للتحقيق.. إلا أن الشعب أنكر معرفته بالمتهم.. بل كال للمتهم أقذع الشتائم، وأجمع الجميع أن بناء مشفى للمجانين أمرٌ حسنٌ لتفادي مثل هذه الأمور مستقبلاً. فأمر القاضي باش الوجه بإطلاق سراح الشعب بكفالة.. وحكم على المتهم

بالإعدام.

أجتمع أهالي حارة (الشوك) في الساحة وتنهدوا تنهيدة أطلقوها جميعًا دفعة واحدة.. ونظروا إلى المشنوق المتدلي من رقبته الغليظة متحسسين رقابهم بحنو ولهفة كأنها كانت ستضيع فنجت.

القصة الثانية: خطة لم تكتمل

المواطن المدعو (أحمد مناصرجي) يخشى الحكومة خشيته لأبيه ويحترمها ويوقرها.. وقد شوهد بالعين المجردة وبواسطة الأقمار الصناعية الموجودة في قلب الفضاء؛ يقف بخشوع قبالة المبنى الرئيسي للحكومة. وقال البعض إنه كان يبكي بصوت حزين ومليء بالشهقات المختنقة.

يعمل في القطاع العام منذ عشرين سنة، ويقول المحاسب المسئول عن الرواتب أن (أحمد مناصرجي) يقبل راتبه الزهيد ويرفع رأسه إلى السماء شاكرًا نعمة لم تؤتَ لغيره كلما قبض الراتب.

وفي مسيرة أعدتها الحكومة وشارك بها الشعب بشكل عفوي بحت، لا ضاغط له في المشاركة إلا (القضية)، بَحّ صوت المواطن ذو الأخلاق الوطنية (أحمد مناصرجي) من الصياح والعويل تأيدًا وإكبارًا، وزعم في هتافاته أن الموت يطيب إن كان لدعم القضية أو دعم الحكومة.. وحينما حاول المواطن المثالي (احمد مناصرجي) تقبيل يد وزير (المظاهرات والمسيرات) الذي كان يمشي متأبطا

أذرع الكادحين وصغار الكسبة من الشعب؛ قوبل فعله بركلة على بطنه.. ولكنه قال فيما بعد إنه هو المخطئ إذ إن الوزير كان في فترة دوامه الرسمي ولا يحق لأحد إزعاجه لأنه قد يلهيه عن عمله وخدمة الوطن، كما أثنى على راكله الذي أعاده للوراء ليفكر مليًا بتاريخ الحكومة العريق.

وللمواطن ذو النفس الشريفة (أحمد مناصرجي) طريقة في تربية أولاده على حب الحكومة، حتى أن ابنه ذو السنتين (محمد أحمد مناصرجي) قال كلمة (حكومة) قبل أن يقول (بابا أو ماما).. ورضع حليب أمه ممتزجًا بشعارات الخطباء في التلفاز والراديو.. وقد اهتم (احمد مناصرجي) بتعليق عدة لوحات على حوائط المنزل تمثل أقوالاً ثورية مخيفة المنظر، تتوعد وتهدد كل من يمس (القضية) بأذى.. واستعرضها أمام ضيوفه بفخر.

وكتب مرة في جريدة رسمية قصة للأطفال بعنوان (الحكومة والذنب)، وأهتم بإضافة الصور الحمراء الجميلة لقصته، ومرة أخرى كتب للشباب موضوعًا بعنوان (الحكومة من الألف إلى الياء)، وللفلاحين بعنوان (الحكومة والأرض المغتصبة وغير المغتصبة)، وللعمال الاشتراكيين بعنوان (يا عمال العالم اتحدوا من اجل الحكومة)، وكتب للمتدينين مقالاً طويلاً بعنوان (الحكومة أولاً والدين أولاً)، وكتب للمثقفين مقالاً لم يفهمه احد بعنوان

(أيديولوجية الأوضاع الراهنة وازدواجية المعايير لا تفسد للحكومة قضية)، وكتب للأدباء والشعراء قصيدة شعريةٍ حديثة بعنوان (أول كلمة.. أخر كلمة.. وكل الكلمات.. الحكومة).

- واعتزل المواطن (أحمد مناصرجي) الكتابة واستقال من عمله الحكومي بعد حين مكللاً برضى الحكومة ومكللاً بهمسات خافتة حانقة من الشعب، ولم يره أحد من حينها. ولكن أحدهم زعم مرة أنه رآه في غابة كبيرة يصيد الثعالب.. وزعم أحدهم أنه رآه مرة أخرى يقود سيارته إلى هاوية سحيقة، وزعم أخر أنه رأى المواطن (احمد مناصرجي) يقود ثورة حمراء دامية مكونة من شعب جائع، ممزوجة بعرق ودم وآهات.. صامتة كالموت، مصممة، تبغي الإطاحة بحكومة أكلت الخبز ولم تُبق حتى الفتات.. لكن ثورة الجياع فشلت وقبض على (أحمد مناصرجي)، وأعدِمَ في الساحة العامة مكللاً بغضب الحكومة ومكللاً بهمسات خاشعة من الشعب عن بطل حاول مرة أن يرى ضوء الشمس لكنه لم ينجح..

القصة الثالثة: عبر الأجيال

لا يحب (سليمان القيسي) التخلي عن مبدأ واحد من مبادئه إلا في سبيل رغيف الخبز.. فهو حينما يجوع يصبح وحشًا كاسرًا لا يتورع عن شتم الحكومة - إذا كان لوحده - ونعتها بألفاظ منافية

للأخلاق العربية التي عرفت وسط الأوساط العالمية بأنها أخلاق مضيافة ودود ومتسامحة.

فقد استيقظ مرة على جوع أرغمه على التوسل لمدير عمله فلو أعطاه سُلفة على الراتب لما سمع المدير ما قاله (سليمان القيسي)، ووصف فيه ازدواجية القوى في العالم بأنها تسبب آلام البطن والجوع.. الكلام الذي لم يفهمه المدير جيدًا لأن بطنه كانت مملوءةً حينها وذهنه شاردًا في وجبة العشاء.

ومرة كان يمشي مع صديقه المخبر، فأحس بجوع طاغ تسلل إلى رأسه ونفسه محدثًا ألامًا غير مستحبة، فقال بصوت عال لكنه واهن: ''والينيناه''.. فامتدحه صديقه المخبر السري، وقال له إنه حجرٌ صلبٌ وركيزة لمجتمع اشتراكي يأكل فيه الفقير ما يأكله الغني.

وحينما أحس بنعاس غريب ممزوج بتعب لا مبرر له.. ذهب إلى فراشه ولكنه لحظتها تذكر انه لم يأكل منذ يومين فقال لزوجته: ''أعدي طعام العشاء''.. ولكن زوجته قالت له بكلمات غير مختصرة مليئة باللوم والعتاب الذي قد يتحول في أي لحظة صراخًا وعويلاً حيوانيا أن لا طعام في شقته.. فقال بحسرة: ''وهل أبقت الرأسمالية العفنة لنا شيئًا نحن الفقراء المهضومين في معدة كل الأنظمة الاستعمارية السافلة''.

وفي غمرة الجوع الشديد انفصل (سليمان

القيسي) عن عالمه مخاطبًا رغيف خبز كان على واجهة أحد الدكاكين وقال له بصوت آسيان: "هل تعرف كم أعاني بسببك؟"

رغيف الخبز: "إن امتلكت ثمني سأكون عبدك المخلص."

سليمان القيسي: "وإن لم أمتلك؟"

رغيف الخبز: "بسيطة.. ستكون عبدي المخلص."

سليمان: "ولكن الأنظمة في بلادي وعدتني قبل أن أنتخبها أنها ستؤمن لي أرغفة خبز كثيرة تكفيني لأيام وأسابيع وسنين.. وكل العمر.."

رغيف الخبز: "لعلك تصدق كل ما تسمعه!.. إن الحملات الانتخابية تلك لا هدف لها إلا حشد الطاقات التصويتية لإملاء الصناديق وقهر المنافسين."

سليمان: "ولكن.."

رغيف الخبز: "اسمع، لقد أشفقت عليك حقًا.. ولكني لا أستطيع خدمتك."

سليمان: "أنا جائع.."

رغيف الخبز: "وهل تظن أن الجوع يسمح لك أن تُذل هكذا؟.. انظر الناس في الشارع ينظرون إليك ويتهامسون بأنك مجنون أبله.."

فانتابت (سليمان) حينها رغبة عارمة لامتلاك رغيف الخبز المتحدث هذا، ودخل مسرعًا إلى

المخبز، وتناول الرغيف بسرعة وخفة وأخذ يركض مبتعدًا.. ورآه الخباز ذو الوجه الفولاذي الصلد فاستلّ بندقيته وأطلق النار بحركة نزقة على (سليمان القيسي)؛ فوقع (سليمان) في شارع ما، وامتزجت دماؤه بالخبز الأبيض.

وفي الجهة المقابلة للشارع.. كان الشاب الثائر قوي العزيمة (خالد العلا) يمشي متأبطًا كتبه وأوراقه وأقلامه.. يمشي جائعًا ولكنه قال ذات مرة لأصدقائه أنه سيأكل إن جاع الأوراق والكلمات.. ولن يذل أو يخنع لأي قوى كريهة غادرة.. رأى الشاب (خالد العلا) المواطن (سليمان القيسي) مطروحًا على بطنه ودماؤه تسيل وقد فارق الحياة، ورأى في يده رغيف خبز وقد تشبث به (سليمان) بقوة وكانت دماؤه قد فاضت قرمزية اللون تغطي الرغيف.. تنحنح (خالد)، وحينما أحس بأنه ليس هناك من يراقبه؛ التقط الرغيف وأخذ يقضمه بقوة ونهم شديد.. متذوقًا الطحين الممزوج بالدم.. وحينما فرغ من طعامه؛ شكر ربه ماسحًا فمه بكم قميصه.. ورمى أوراقه وكلماته على الرصيف وركض لا يلوذ بشيء باحثًا عن المزيد من الخبز.

القصة الرابعة: مفترق الطرق المفقود

المواطن (غسان المروان) مواطنٌ يبحث عن الحقيقة، وهي همه وما يشغل باله في لحظات الصفاء وأي لحظة عمومًا.. وقد أرّقته في الفترة

الأخيرة معضلة حيرته كثيرًا، ولم يجد إجابة عليها تريحه، وتتمثل بسؤال واحد هو: (من أين فقدت امتنا الطريق؟ كيف ضعنا).

ولأجل الحصول على بعض الإجابات، اشترى المواطن (غسان المروان) كتبًا ثقيلة الوزن؛ صفحاتها صفراء باهتة اللون، تفوح منها روائح الذكرى، واشترى أيضًا كتبًا جديدة؛ أوراقها حادة الأطراف كالسكين، واشترى أوراقًا وأقلامًا، واشترى ممحاة ومبراة ومسطرة.

جالسًا على كرسيه، وراء طاولته يقرأ ويقرأ، أمسك في البداية مجلدًا أصفر اللون وقرأ ما يلي:

(كان العرب قبلاً، شرذمة من البشر لن ترى ضوء الشمس ما دامت على هذا الحال، فكان عصرًا يتوج فيه الجهل ويغلق على العلم، وكان عصرًا للوأد والرذيلة.. إلى أن تغيرت الأحوال فجأة، فصار العرب يمتلكون ما كان ينقصهم، ورُتِقت الأخطاء، وزاد الفضل، وتوحدوا تحت راية واحدة، راية للخير، فسادوا وانتشروا في الأصقاع، وحكموا الأرض، وانتشر صيتهم الطيب، وانتهت العداوات ما بينهم.)

فابتسم المواطن (غسان المروان) ابتسام الفرح بالحقيقة الراضي عنها، وأمسك مجلدًا أصفر اللون أخر، وفتحه وقرأ في أول صفحة:

(ازدهرت العلوم والفنون والصناعات.. الخ)، ثم فتح (غسان) الصفحة الأخيرة من المجلد نفسه فقرأ:

(وما زالت الفنون تزدهر، والحضارة تنمو، والعلم هو المقياس، والشريعة واحدة، حتى أن الأمم الأخرى أقبلت على العرب تأخذ منهم ولا تعطيهم، ولأجل أن الرسالة واحدة كان العرب لا يبخلون، ولا يحتفظون ما ينتجون لأنفسهم فقط بل أقبلوا على الإعطاء إقبال الأمم الأخرى على الأخذ)

فابتسم (غسان المروان) ابتسامة من انتصر في جميع المعارك.. وفتح كتابًا جديدًا كل صفحاته بيضاء جديدة وقرأ:

(العرب هم شوكة في حلق العصر الحديث، لا كلمة تجمعهم ولا روح واحدة تحتويهم، دائمو الخلاف في ما بينهم، دائمو الكلام بغير نفع أو فائدة، لا يأخذون، وليس يملكون شيئًا فيعطون، أمة ضعيفة متفرقة فيها الكثير من الخيرات التي علينا أن ننهبها، فالعرب لا يعرفون حتى كيف يستخدمونها.) فامتعض (غسان) وقلب الكتاب لأخر صفحة وقرأ:

(علينا تصفية العرب، فهم ما تبقى من شرور). فأغلق (غسان) الكتاب بنزق ورماه بعيدًا متأففًا، وانكب على الكتب المتبقية بحثًا عن نقطة التحول الفاصل، فلم يجد شيئًا يرضيه، ويشبع في داخله ما يبحث عنه، واستمر في البحث منكبًا على أوراقه وأقلامه وكتبه.. ولكنه وحينما لم يجد شيئًا، وبعض مضي سنين طويلة في البحث بلا طائل.. أحرق المواطن (غسان المروان) كتبه ومجلداته وأوراقه،

وأبقى ورقة صغيرة كتب فيها نتاج ما بحث عنه وهي: ''لا ريب في أن الرجال الذي وثقوا ذلك الزمن الفاصل بين مرحلتين، قد ماتوا دون إكمال بحوثهم، أو أن أبحاثهم تلفت مع الزمن، أو ضاعت، فضاعت حقبة كانت تفصل بين الجبال والوديان).

قرأ عبارته الأخيرة عدة مرات، ثم ابتسم (غسان) في سره، وأطفئ الإضاءة في غرفته، واستلقى على سريره مرتاح البال.

القصة الخامسة: سجين

وَدَّ السجين (حسين القاسم)، الذي يقبع في زنزانته منذ سنين، لو يخرج من زنزانته وزمانه إلى بعد أخر لا يوجد فيه سواه؛ فقد سئم السجون.. وسئم محاولات الهرب.. وسئم حديثه اليومي مع سجانه.. وشكواه.

السجان: ''أولادٌ كثر وأمهم ولا طعام يكفي.''

السجان: ''أولادٌ كثر وأمهم.. ولا ملابس جديدة والأعياد كثيرة وكلها قريبة.''

السجان: ''مرضٌ بالجملة.''

السجان هامسًا: ''السياسة باطلة.''

السجان: ''تعب ومشقة.. وقد نال مني الكبر.''

السجان مازحًا: ''هي مدارس أم إصلاحيات؟.''

سئم (حسين القاسم) الحائط والسقف وشباكه الوحيد المطل على البحر.. حلم بالبحر مرارًا.. حلم أنه قبطان لسفينة قراصنة.. تخافه البحور والحيتان

ووحوش البحر.. ويخافه الصاري وتخافه الدفة والأشرعة.. ويخافه الطاقم وكل من يبحر في البحر.

لو كان بحرًا.. لأغرق كل السفن..

لو كان لحنًا ثائرًا في فم ثائر.. أو مشعل نار.

وتمر الأيام سريعًا ويصحو (حسين القاسم) في يومه الموعود.. كانت ليلته السابقة كابوسًا أسود راودته أحلامٌ لا يريد تذكرها، فاليوم يوم المحاكمة، إما أن ينجو ويؤتى فرصة أخرى وإما أن يُقضى عليه.. وهل هو يبالي؟ هو نفسه لا يدري ولم يسأل نفسه ذاك السؤال. وقبل غياب الشمس فُتح عليه باب السجن وأطل وجه السجان المتغضن.. اقتاده سجانه دون كلمة إلى محكمة باردة، طالعه وجه القاضي، وكان وجه القاضي بريئًا يشبه وجوه الأطفال.. فقال (حسين القاسم) في نفسه (كيف لمثل هذا الوجه أن يحكم بالإعدام..!!)

والقاضي المتلهف دومًا لا يقرأ الأفكار فحكم عليه بالإعدام بعد اطلاع على مجمل القضية.. وأنهى الجلسة بضربة من مطرقته ونادى حاجبه على الجلسة التالية.

أُقتيد السجين بعد أشهر إلى منصة الإعدام.. طالعه وجه جلاده فقال (حسين القاسم) في نفسه (جلادي رجل أسود)، وحين التف حبل المشنقة عليه تراءت للسجين حياته السابقة، مَسحت عنه حوائط السجن كل ذكرى، وأبقت ذكرى وحيدة تراوده

باستمرار، لكنه لا يحبها رغم أنه اعتادها.. ذكرى السجن لم تعد ذكرى؛ باتت حياته.

دفع الجلاد الكرسي من تحته فانتفضت الجثة ومات السجين.. وفي لجة البحر تسبح سفن القراصنة بلا قبطان، لتتكسر ويضيع حطامها على ضفاف جزيرة نائية صخرية.

القصة الخامسة: (خاتمة)

في غمرة الذهول الذي يصيب الشاب (خالد سليمان) عقب كل تصريح مدو، أو جملة تهديد أو وعيد، أو عبارة تشجيعية من فم مسئول يغوص أكثر فأكثر في نعيمه الدنيوي الزائل.. يتساءل (خالد) تساؤلاً حيره أمدًا طويلاً: "هل نحن حمقى حقًا كما يظنون؟!."

ينزل إلى جامعته فيرى صديقه (جمال المعلا) واقفًا مع أستاذه يساوم بسعر المادة.. والأستاذ قد حدد سعرًا لا يحب المساومة عليه، فلكل مادة سعرها الخاص الذي يتحدد وحجم مراجعها وكتبها.. فيشيح (خالد) بنظره بعيدًا ويتساءل: "هل نحن أغبياء لهذه الدرجة أم هو الكسل فقط!."

ويذهب إلى السوق فيجد أن كل السلع الأساسية وتجارتها مكومة في يد بضع تجار علاقتهم وثيقة مع رجال السياسة في بلده.. يتحكمون في قوت الجائع الذي لا يستطيع التحكم بشرههم المتزايد.. يشيح بوجهه ساعتها ويحاول أن يتخيل أرضًا غناء

لا وطن فيها ليذله، ولكنه لا يستطيع.

وفي غمرة حماس مباغتة أو لحظة طيش لا مسئولة؛ قرر الشاب (خالد سليمان) أن يرحل بعيدًا بحثًا عن أمل ما.. وعندما فارق بجسده أرضه التي كان يحيا فيها تساءل: هل أنا أحب الوطن أم أنني تعودت عليه.. إذا كنت أحب الوطن حقًا فيومًا سأعود.. وإن كنت تعودت عليه فإنني أستطيع التعود على غيره.

يرحل (خالد سليمان) بعيدًا. وفي الأصقاع النائية يبكي دومًا حنينًا لشيء لا يدري كنهه.. لم يصادف في بُعده ما كان يرجو أن يجده، ولن يصادف إذا عاد إلا الذي هرب منه، يندم كثيرًا ويخاطب نفسه متسائلا: هل أنا قليل الحظ أم أحمق أخر؟.. لم يكن بقربه ساعتها أحد لجيبه، ولكنه مسح فجأة دموع عينيه وصرخ في وجه القمر، وقال:

- "أيها المواطن العربي المذلول في وطنك والمذلول شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا.. يا أيها المهان في عرضه وأرضه وكرامته.. تعيش من أجل رغيفك؛ ويعيش الآخرون لأجل إبعاد الرغيف عنك.. إن رحلت بعيدًا فإلى أين؟، إن بقيت في مكانك فماذا تبغي؟.. أولادك في عنقك وعنقك يمتلكها الجلاد، والجلاد دومًا غاضب؛ لأسباب لن تعرفها ما حييت.. إن خنعنا له قال (مكيدة)، إن ثرنا عليه قال (خيانة)، إن سكتنا قال (ديمقراطية)، إن تكلمنا قال

(ديكتاتورية)، إن بكينا قال (جبناء)، إن صرخنا قال (بلهاء)، فما تريد منا؟؟.. قل لنا كيف نعيش، علمنا كيف يؤكل رغيف الخبز دون مزجه بالدماء، وحررنا من جوعنا لنكون كالعبيد."

صرخ الشاب (خالد سليمان) كثيرًا في وجه القمر؛ فلم يتأثر القمر بصراخه.. وغاب بين سحب سوداء محمرة كالدم، ولم يسمع الشاب (خالد سليمان) القمر وهو يتمتم بعبارات حزينة مليئة بالوعود أكيدة الإنجاز.

* * *

وسط الزحام

بقلم: محمد إبراهيم الدسوقي

لابد أنك تعرف من يكون..

لابد أن يكون وجه الغير قد طالعك.. لا تدري متي.. ولا أين.. ولكنك تعرف انك قد رايته من قبل.. وانك ستراه مرة أخرى..

هكذا كان بائع الجرائد الصغير..

ربما يطالعك وجهه في الميدان الكبير.. وربما تقع عيناك عليه في الإشارة وهو يتخطى السيارات التي تنتظر المسير.. وربما تلقاه في الحافلة التي تستقلها، بابتسامته المميزة التي تجمع في تناقض عجيب ما بين البؤس والرضا بالحال، وملابسه غير التقليدية التي تهبه برثاثتها واتساعها، سنًا يفوق سنه الحقيقي بكثير.

وإذا ما رأيته حتما سيستوقفك ذلك (العكاز) الخشبي الضخم، الذي استبدله أو أبدله إياه الزمان كتعويض بخس عن ساقه المبتورة، التي فقدها تحت عجلات الترام يومًا حينما كان يحاول التشبث به أثناء المسير.

ولابد انك ستنجذب نحو ندائه المميز ورزمه الجرائد التي تقبع تحت إبطه.

"أخبار.. أهرام.. جمهورية"

لابد أنك تعرفه وإن كنت لا تدري.. لأن الجميع يحفظ ملامحه التي تُحفر في الذاكرة من اللقاء الأول..

لابد أنك تعرفه.. فمن المؤكد أنك اعتدت رؤيته كالجميع.. كأنه أصبح جزءًا هامًا من معالم الطريق.. ربما إلى العمل.. أو الجامعة.

وحتما سيتباين إحساسك نحوه إذا ما رأيته.. هكذا حال الجميع!!..

فالبعض يبدي نحوه الشفقة.. والبعض ينتابه الشعور بالازدراء.. وربما تمادى البعض فتحسس موضع نقوده كأنما سيقدم حتما علي سرقته!!..

وربما اكتفي البعض عند رؤيته بالابتسام!..

هكذا كان بائع الجرائد الصغير.. قد تراه خلسة في مكان.. لكنك حتمًا؛ لن تفكر من أين أتى ولا أين يذهب في نهاية النهار!..

الكل اعتاد أن يراه وكفى.. وكأنه أحد معالم الطريق.. تمر عله دومًا دون أن تتساءل من يكون!.. أما هو بائع الجرائد الصغير، فكان يسكن مع أسرته الصغيرة متواضعة الحال.

كان يعلم أنه الركيزة الأولى في دخل هذه الأسرة.. لا يسانده إلا المبالغ الزهيدة التي ربما تحصلت عليها والدته من عملها بالمنازل يومًا أو يومين، هكذا كانت حياته، وهكذا اعتاد أن تكون.. عبئا ثقيلا، يقابله يومًا بالتذمر، ويومًا أخر

بالابتسام.. ولكن مالا يستطيع أن ينكره؛ أنه اعتاد هذه الحياة كأنما جُبل عليها.. اعتاد أن يستيقظ مبكرًا.. اعتاد أن يجري بعكازه ورجله الوحيدة خلف الحافلة.. اعتاد وجوه الناس وكل منهم يحمل نحوه شعورًا ما.. واعتاد أكثر كونه يتيمًا.. بلا أب.

أحيانا ما تكاثرت عليه الخطوب علي صغر سنه.. فلا يملك إلا أن يَنعى حاله، ويَنعى همومه الكثيرة.. وساقه الوحيدة التي تهربت رفيقتها من إكمال الطريق، كأنها تعلن الرفض لحاله.. تدور به الدنيا دورتها..

يومًا يشعر بأنه امتلك الدنيا، ويومًا يشعر بأنه لاشي.. لكنه لا ينسى حلمه الأبدي في ألا تبيت أسرته يوما بلا عشاء.. كان يصحو قبل النهار، ثم يعود إلى بيته في العاشرة صباحًا.. فلا يطالعه إلا وجه جده العجوز الكامن في البهو في صمت.. قليلاً ما يلقي عليه نظره.. والأقل أن يسأل عن حاله.. فيلوي رغيفًا علي ما يجده.. ثم يهرع مرة ثانيه ليلحق بالجرائد المسائية..

هكذا كانت حياته.. وهكذا اعتاد أن تكون..

إلى أن كان ذلك اليوم..

كان يهرع مسرعًا، يقطع الميدان الكبير جيئة وذهابًا.. وهو يردد بحماسه الروتيني..

"أخبار.. أهرام.. جمهورية".

يعطي هذا جريده.. ويناول تلك مجلة.. وهذا

جريده أسبوعيه..

قبل أن تتوقف عيناه عند تلك الورقة التي قبعت هادئة بالقرب من عجلات إحدى السيارات.. اقترب منها وقد احتبست أنفاسه.. وازداد خفقان قلبه حينما اكتشف إنها ورقة مالية من فئة العشرين جنيها!..

اختطفها كأنها كنز ثمين، وراح ينظر عن يمينه ويساره بحثًا عمن يرقبه وهو ينفض عنها التراب.. ولم يكد يطمئن إلى انشغال الأعين عنه؛ حتى احتضنها في كفه، واندفع لا يلوي علي شيء.. أمام محل الكباب توقف..

تابع بعينيه المحل الفخم من خلف الواجهة الزجاجية.. تابع الرواد ما بين والج وخارج.. حمل الهواء إليه الرائحة.. فشعر بخدر الجوع يسري في أوصاله..

قرر أن يهرع إلى المحل..

قرر أن يتمرد علي طعامه المعتاد..

قرر أن يجاري علية القوم.. سيجلس فوق مائدة مميزه ويضع النقود أمامه حتى يعرف النادل كم يملك من مال..

اقترب بحذر من الباب الزجاجي.. توقف قليلا ينظر إلى الرواد عن كثب وقد انهمك الجميع في الطعام..

وبالقرب منه تابع أسره متجمعة علي إحدى الموائد.. فتذكر أسرته..

لم يكد ذكر أسرته يَرد بباله حتى سرح بخياله..

وقتها أحس بالأنانية!..

وقتها شعر انه آثر نفسه علي أسرته التي قدر له أن تكون كل ماله في الحياة..

فترة من السكون مرت عليه، وقد تبدل به الحال.. فنسي نداء معدته الجوعى.. وأن لم تخفت رائحة الكباب من انفه..

أدار وجهه للمحل وراح يدفع العكاز إلى الأمام تتبعه رجله الوحيدة..

وفي طريق العودة ومع ذكر أسرته احتلت صورة أمه رأسه بوضوح..

* * *

(الأشقياء في الدنيا بلا عدد أعظمهم شقاء ذلك الصابر الذي أرغمته ضرورات الحياة أن يهبط بآلامه إلى أعماق نفسه، فيودعها هناك، ويوصد دونا أبوابا من الصمت والكتمان، ثم يخرج إلى الناس باش الوجه باسم الثغر متهللاً مبتسمًا، كأنما لا يحمل بين جنبيه همًا ولا كمدا)

* * *

كلما ضاقت به الدنيا تذكرها، أمه..

كلما شعر أن العالم يجثم علي صدره احتلت صورتها رأسه فشعر معها بالراحة..

هي ليست فقط أمه..

هي أكثر بكثير..

إنها محركه الأول للسير في الحياة..

كلما تذكر ابتسامتها؛ شعر بان هناك في الحياة ما يستحق أن يعيش لأجله..

دائمًا ما تمنى أن يحصل علي مبلغ كهذا ليشتري لها جلبابًا جديدًا، بدلا من ذلك الجلباب البالي الذي استهانت الحياة بخيوطه والذي تحرص علي ارتدائه كأنما لا بديل..

لكم هي حنون هذه الأم..

لكم شعر بقوتها وبسالتها..

لكم تحاملت علي نفسها من اجله ومن اجل أخته..

أخته..

أخته..

ترددت الكلمة بمخيلته طويلاً..

* * *

(رائعة هي الطفولة.. نقيه كنقطه ندي.. طاهرة كقلب ملك.. لامعة ككوكب ساطع.. فما أقل أن نسمح لهذه الطفولة أن تبقي.. أن تنعم وتسعد.. فإنها أبدا لا تستحق الشقاء)

* * *

أخته الحبيبة.. أمله الدائم في حياه أفضل.. لقد التحقت بالمدرسة منذ سنوات ثلاث؛ ربما أربع.. لا

يذكر جيدًا.. ولكن ما يذكره جيدًا أنها كانت تلح علي والدتهما أن تعطيها جنيهات عشرين.. ثمنا لدروس التقوية بالمدرسة.. لكم يحب هذه الصغيرة.. إنها أكثر الجميع شعورًا به، أو هكذا يشعر.. كانت دائمًا تشجعه علي الرغم من صغرها..

وكان يري فيه الأمل.. دائما ما يعجب من ذكائها حينما تشاكسه فيدعوها (سقراطة) فتهرع خلفه بالوسادة.. لكم يتمني أن تتفوق لتصبح ما لم يستطع أن يكون.. إنها حقا تستحق الجنيهات العشرين بل هي أجدر الجميع بها..

استدار وكأنما عقد العزم علي ما سيفعله.. ومع استدارته وقعت عيناه علي الصيدلية الكبيرة التي تحتل واجهتها جزءًا كبيرًا من الشارع.. ولم تكد عينه تطالعها حتى تذكر جده.

* * *

(قاس هو الألم، فيه من المذلة ما يُقهر بلا تفريق.. ولا غالبًا ما يبقى القوي قويًا في كل شيء.. حتى في دمعه وآلامه.. حتى ليخيل لك وهو يبكي وينتحب أن دموعه تلهب الأفق.. وكل زفرة من زفراته تستنزل غضب الله علي الأرض)

* * *

جده الذي انزوى في المنزل منذ زمن بعيد، يفوق عمره هو.. سمع أنه يعاني من الروماتيزم الذي لا يدري كنهه.. ذلك الشيء الذي نخر عظامه وأبلاها

وطرحه عاجزًا فوق كنبة عجوز يتقارب عمراهما، تزيده ويزيدها قِدمًا وعتقًا ليكمنا سويًا في بهو البيت الضيق..

تذكّر صراخه حينما تفاجئه الآلام.. وتذكّر معها علبة الدواء التي كتبها طبيب المستشفي الحكومي والتي عجزوا عن شرائها جميعًا.. أو أبوا؛ فالقوت اليومي ربما كان في رأيهم أهم.. حتما ثمنها سيأتي علي هذه الجنيهات العشرين؟؟؟

* * *

تدافعت الصور بداخله..

وراح السؤال يطرح نفسه علي باله بأحرف بارزه..

تري..

ماذا يفعل بهذه الجنيهات العشرين؟؟

جلس فوق الرصيف.. وعقله يبحث عن أجابه.

طالع السيارات التي تتابع المسير في صمت كأنما لا يشعر لوجوده أحد أو يكترث له!..

شعر لأول مرة أن أصوات الأبواق العالية تخنقه وهو يحاول جاهدًا أن يلتقط أنفاسًا حيرى كأنما خلا العالم من الهواء..

و لأول مرة في حياته يشعر بأنه وحيد وسط الزحام!!..

تحامل علي عكازه..

سار نحو منتصف الشارع دون أن يكترث لأبواق الإنذار المتعالية..

نظر نحو الجنيهات العشرين في يده.. والتي أحالها العرق إلى ورقه مبتلة..

نظر نحو الصيدلية.. وقد تذكر آلام جده.. ثم لم يلبث وجه والدته أن ملأ مخيلته.. وهز رأسه في قله حيله وهو يتذكر أخته الصغرى وأمله الدائم في حياة أفضل..

تابع بعينيه الزحام مرة أخرى..

وضم يده علي جرانده بقوه كأنما يتشبث بها..

أرخى يده الممسكة بالورقة المالية..

تركها تسقط فوق رصيف الشارع..

حملها الهواء المنبعث من السيارات المسرعة بعيدًا..

لم يستدر نحوها.. لم ينتبه إلى الأيدي التي تدافعت تلاحقها..

اندفع إلى الأمام في إصرار.. ونداءه المعهود يتعالى..

أخبار.. أهرام.. جمهورية..

قبل أن يختفي..

هناك..

كما اعتاد دائمًا..

.. وسط الزحام..

* * *

معركة مصيرية

بقلم: شريف ثابت

كنت أتنفس بصعوبة..

أعلم أنكم ستفهمون من هذا أنني خائف، ولكن هذا بالفعل يحمل شيئًا من الحقيقة..

نعم بداخلي قدرٌ من الرهبة، فالمواجهة القادمة ليست سهلة أبدا..

عرقٌ غزيرٌ ينبت على جبهتي، وينسال ببطءٍ مزعج على وجهي.. تنقبض أصابعي من آن لآخر على أغراضي وكأنني أستمد منها الشعور بالأمان.. العربة التي تنقلنا إلى ميدان المعركة ممتلئة حقا بالرفاق.. الأجساد متداخلة مع بعضها البعض، لدرجة تجعلني أستغرب كيف سنبدأ المواجهة ونحن على هذا الحال، لا يعرف أحدنا كيف يسحب أطرافه من بين زملائه..

العربة تقترب بنا من ميدان المعركة بسرعة.. ومع كل متر تقطعه تتصاعد دقات قلبي.. لن تكون معركة سهلة أبدًا..

أنظر إلى وجوه زملائي، فأرى الرهبة في وجوه بعضهم، وأحدهم يردد آيات القرآن الكريم.. نظرت إلى وجه قائدنا الذي يتقدمنا، ورأيت في عينيه قوة وعزمًا غير عاديين..

شينا فشيء تتسرب عدوى الحماسة والعزيمة إلينا جميعًا.. لن ننهزم هذه المرة..

أنا المصري سليل الفراعين.. لن أدعهم يدحرونني هذه المرة..

أسرح بذهني لأسترجع تاريخ وطني وأمتي..

من هذا الوطن خرج (رمسيس الثاني) الذي هزم الحيثيين في (قادش)..

و خرج (أحمس) الذي طرد الهكسوس وطهر البلاد منهم..

و من أرضى خرج (الناصر صلاح الدين) ومن ورائه الآلاف المؤلفة من أبناء وطني لدحر الصليبيين في (حطين)..

من بلادي خرج الجيش العظيم الذي مزّق التتار في (عين جالوت) وكسر شوكتهم..

كيف لهم أن يهزموني بعد هذا التاريخ العظيم..

العربة تقترب من الميدان..

أرى أضوائهم تتبدى لي من بعيد..

من الذي أعاد (بونابرت) إلى (فرنسا) بخفيْ حنين؟..

من الذي تصدى لحملة (فريزر)؟..

من الذي قاتل الترك تحت لواء (إبراهيم) باشا وانتصر عليهم؟..

التاريخ المشرف يتتابع في ذهني؛ فيملؤني ثقة

وعزمًا.. أشعر بدماء الحماسة تفور في عروقي فتلهبها..

العربة تبطئ من سرعتها لدى اقترابها من خطوطهم..

أجيل بصري في وجوه الرفاق.. أرى قوة وتصميمًا بلا حدود.. الكل مصمم على النصر..

العدد ضخم حقًا، فلن نغلب اليوم من قلة..

نحن من تصدى للعدوان الثلاثي سنة ٥٦..

نحن من حطم أسطورة خط (بارليف) في ٧٣..

توقفت العربة تمامًا، وصار العدو أمامنا مباشرة..

لأول وهلة أنتابتني الرهبة لِما رأيته من ضخامة أعداده، ولكنني سرعان ما تمالكت رباطة جأشي، لأنني مؤمن أن النصر من عند الله..

تمر الثواني بطيئة، ونحن - الجيشان - متواجهان نتبادل نظرات التحدي..

تنقبض عضلاتي من فرط التحفز، وتزداد أصابعي الملتفة حول أغراضي قوة وصلابة..

للحظة أسرح بذهني..

الفلسطينيون يقاتلون في الأراضي المقدسة..

(حزب الله) يدافعون بضراوة عن ربوع (لبنان)..

المقاومة العراقية تملأ نهرى (دجلة) و(الفرات) بجثث المحتلين، بينما الأفغان يحيلون حياة الغزاة إلى

جحيم..

أما هنا على أرض الكنانة.. (مصر) العظيمة..

فالمعركة الكبرى توشك أن تبدأ..

و لن نكون نحن الخاسرين بإذن الله..

و في اللحظة التالية بدأ الاشتباك..

لم يكن الأمر هينا.. كانوا يدفعوننا بقوة هائلة مدعومة من أعدادهم الضخمة.. قاتلنا بكل قوانا.. دافعنا ودافعوا.. ومرّت لحظات صعبة حقا.. رحت أوجه الضربات، وأدفع زميلي الذي يسبقني.. أصرخ بملء فاي "ملعون ..... ولاد ...".. تكاد أغراضي تنفلت من بين أصابعي، فأتشبث بها أكثر.. ولدهشتي رأيت وجوه نساء في صفوفهم.. ياللعجب.. أهذا مكان تتواجد فيه النساء؟.. أليست لهم ميادين أخرى خاصة بهم؟..

أقاتل بحماس أكبر، وأشعر بالظفر يجتاح أعماقي وأنا أرى صفوفهم تنشق لأعبر من بينها أنا ورفاقي الأبطال..

أسمع الصفير يدوى في الأجواء فأوقن أن المعركة على وشك أن تنتهي بانتصارنا..

وفي اللحظة التالية تعثرت في قدم أحدهم، فسقطت على وجهي بين الأقدام، وأسرعت لأحمى رأسي بذراعيّ، وشعرت ببعض الأقدام تطأني لا أدرى أأقدام الرفاق هي أم أقدام الأعداء.. رحت أسب

وألعن.. امتدت بعض الأذرع لتنهضني على قدميّ، وسمعت أصواتًا "مش تحاسب يا أستاذ؟.."، "..
"ابقى خلي بالك"، "قدر ولطف".. وبينما كنت أنفض التراب العالق بثيابي ووجهي بعد أن وطأتني الأقدام والأحذية؛ تعلقت عيناي بلافتة تحمل اسم (حسنى مبارك)، وسمعت هدير مترو الأنفاق الذي كنت أستقله منذ دقيقة واحدة مغادرًا محطة (مبارك) إلى محطة (غمرة)..

نفضت بعض الأتربة العالقة بينما ظلت غالبتها تغطيني، ثم أسرعت ألتقط أغراضي من على الأرض، وأسرعت أغادر محطة المترو لألحق بالميكروباص المتجه إلى (العباسية) كي ألحق دفتر الحضور في المصلحة الحكومية التي أعمل بها قبل إغلاقه، لكيلا يُكتب اسمي في سجل التأخيرات اليوم..

* * *

ليلة القبض على ميت

بقلم: محمد عثمان أحمد أبو زيد

أعزائي قد أوضحت سالفًا أني توفيت.. لكنكم ومع الأسف لم تقتنعوا.. أتاني صديق لي يزور قبري.. طلب مني أن نتنزه قليلا.. أخبرته في أدب أني ميت ولا يصح لي التنزه.. أبدى استيائه ثم انصرف غير راض..

شرعت أصدر صفيرًا مرحًا متأملاً ما حدث في جسدي المتحلل.. قطع خلوتي صوتٌ أعرفه جيدًا..

هذه زوجتي أتت مطالبة بمصاريف البيت..

- "يا ستي لقد مت".

قالت:

- "تصرف".

و كيف أتصرف.. هل أسرق؟.. وماذا سأسرق؟!.. وكيف سأسرق؟!..

ثم طالبتني بمصاريف الدروس الخصوصية.. فليخبروا مدرسيهم أني ميت.. قالت:

- "لا.. أنت لست ميت".

ثم جاء رجل يرتدي بذلة صيفية زيتية اللون له شارب رفيع يحلق أعلاه.. قال إنه موظف من السجلات وأن الأوراق تدل على أني لم أمت فضلاً عن قضية تهرب ضريبي..

شرعت أقنع فيه بكل الوسائل أني ميت لكنه أبى أن يصدق.. ثم أتى بمخبرين عملاقين أمسكاني من رقبتي وجراني إلى (بوكس) أسود اللون..

دوى صوت سرينة بوليسية، وسمعت التربي الذي كان قد قام بلحدي منذ فترة يردد أن لا حول ولا قوة إلا بالله..

يا لهؤلاء النصابين..

نصابون؟!..

كلا الأمر لا يتعدى سوء تفاهم سينتهي في قسم الشرطة سريعًا.. مجرد إلقاء نظرة على جسدي المتحلل

و سيقتنعوا..

جالسا بين المخبرين شرعت انظر للخارج..

رأيت السماء.. لم تكن مكفهرة.. كانت صافية سعيدة فأصابني الغيظ.. نظرت لأسفل فوجدت زوجتي متعلقة بالحافة الحديدية للـ(بوكس).. ما إن لاحظتها حتى رددتْ:

-"مصاريف الدروس يا أبو فتحي".

نظرت إلى داخل (البوكس) فوجدت الموظف إياه يقول في اشمئزاز:

-"لماذا تتهرب من الضرائب؟! للأسف أنت مواطن غير صالح".

و هممت أن أدافع عن نفسي لكننا كنا قد وصلنا..

توقف (البوكس)..

طاخ.. طاخ.. طاخ.. طاخ..

صفعات المخبرين تنهال على قفاي.. يبدو أن تلك هي طريقة استقبال ضيوف القسم..

نزلت راكضا غير قادر على التوقف.. لكن ساقي اليمنى المتحللة لم تساعدني.. كان لحمها قد تحلل مُظهرًا عظمة القصبة.. التي لم تحتمل الركض فانكسرت من تحتي..

طبعا لم أصرخ فأنا ميت.. لكن إذا بقدم المخبر تهوى على صدري فانكسرت أضلعي وهو يقول:

-"قم.. نحن نعرف تلك الألاعيب جيدًا ".

ألاعيب!!..

شرعت أحجل على ساق واحدة.. وزوجتي تتبعني ممسكة بساقي المكسورة مرددة:

-"المصاريف يا أبو فتحي".

و أمام الضابط طلبت ساقي من زوجتي، لكنها تظاهرت بعدم سماعي..

ثم تكلم الضابط:

- "حسنا يا أبو فتحي.. ما كل تلك المشاكل التي أثرتها؟".

مشاكل!!..

"مشاكل إيه حضرتك!؟.. أنا ميت".

ضرب المكتب براحتي كفيه قائلا:

-*"أنت هتستهبل؟!"*.

-"حسنا استدعوا طبيب.. هو من سيثبت صحة أقوالي".

و جاء الطبيب..

وضع السماعة على صدري المتحلل.. ثم ظهرت علامات التوتر على وجهه.. أصابني القلق حتى أني سألته:

-"خير يا دكتور؟!.. فيه حاجه؟!؟".

شرع يدق على بطني فصدر صوت رنان.. ثم قال في خطورة:

-"يجب عمل آشعة صوتية حالا".

و تم نقلي إلى المستشفى تحت حراسة مشددة في عربة إسعاف تصدر صوت عويل..

وزوجتي بجانبي ممسكة بساقي ولا تكف عن ترديد:

-"أنا اتأخرت على العيال.. (أبو فتحي) متنساش المصاريف ربنا يخليك".

وفي المستشفى تم عمل الأشعة الصوتية ثم العودة إلى القسم.

قرأ الضابط التقرير:

-"همم.. لا توجد أعضاء داخلية".

قال الطبيب في حماس معدلا من وضع نظارته:

-"بالفعل يا باشا.. لقد شككت في ذلك أثناء فحصي السريري له".

قال الضابط في صرامة محادثًا الطبيب:

-"تشخيصك".

أجاب الطبيب:

-"تجارة أعضاء.. أنت تعرف يا باشا مدى رواج هذه التجارة في الفترة الحالية".

نظر لي الضابط قائلا في صرامة:

-"هل معك التصاريح والتحاليل الخاصة ببيع أعضائك الداخلية؟!".

-"كلا بالطبع فأنا مـ...".

قاطعني الضابط صارخًا:

-"اخرس.. وكمان تجارة أعضاء.. مش كفاية التهرب الضريبي".

وقال الطبيب معددًا على أصابعه في جشع:

-"عدد واحد قلب واتنين رئة وكليتين وكبد.. ده هبر في الموضوع ده حوالي نص مليون جنيه يا باشا".

و قال الموظف ذو البذلة الحكومية:

-"دي قضية تهرب ضريبي تانيه.. اخص عليك أنت مواطن غير صالح".

و قالت زوجتي التي لم تتخلَ عن ساقي:

-"كده يا أبو فتحي.. كل الفلوس دي معاك ومش عايز تدفع مصاريف الدروس الخصوصية!!".

ثم ألقت بساقي وأجهشت في البكاء..

"يا جماعة.. أنا ميت.. والأعضاء تحللت.. ولا أعرف شيئا عن التهرب الضريبي هذا لأن راتبي بالحوافز لم يكن يتعدى المائة جنيه.. وبالنسبة لمصاريف الدروس والله كنت بدفعها".

"كاذب".

"كاذب".

"كاذب".

"كاذب".

و تم تحويلي إلى المحكمة..

و ملأت صور جثتي المكبلة بالأصفاد الصحف..

وحكم القاضي علي بالسجن المؤبد..

و قضيت عقوبتي في سجن القناطر..

و أثناء فترة العقوبة ازداد تحلل جسدي..

شرع في التحلل حتى لم يبق منه سوى عظام..

ثم أخذت العظام في التفتت..

حتى تحولت إلى غبار..

و في يوم هبت رياح..

فتناثر الغبار من نافذة السجن الضيقة.

* * *

فيلم وثائقي قصير

بقلم: داليا إيهاب يونس

يمكن أن نقسم محط أنظار الشباب من الفتيات إلى نوعين..

نوع مقلد أعمى للأمثلة المتمثلة في فاتنات السينما وفتيات النوع الثاني.. وهو - أي النوع المقلد - يتميز بالغباء والفجاجة في النقل، ويغض النظر عن فارق المستوى والأدوات.. والحجم!

فمن وجهة النظر المحايدة.. التي لا هي رجولية مستمتعة على الدوام ولا هي أنثوية ممتعضة على الدوام.. يمكن القول بأن هذا النوع مثير للشفقة، وإصلاحه يكمن في إصلاح الأمثلة أعلاه..

أما النوع الثاني.. فهو النوع المبتكر لآليات لفت النظر الدارس لها.. والذي يعرف الطرق المثلى لتسميد عشبه -وإن قل- ليجتذب إليه غنم النظرات عن اقتدار..

فمن وجهة النظر المحايدة.. التي لا هي رجولية مستمتعة على الدوام ولا هي أنثوية ممتعضة على الدوام.. يمكن القول بأن هذا النوع مثير للاشمئزاز، وإصلاحه يكمن في أن يموت بمرض لعين ثم يحظى جسده بحمام دافئ من الفورمالين ليُعرض بعد ذلك - كما كان هدفه أثناء الحياة- للنظرات المدققة لطلبة وطالبات كلية الطب النجباء!

والفتاة التي نتبعها بالكاميرا اليوم من النوع الثاني.. فمؤشرات الاستمتاع الرجولية والامتعاض الأنثوية والاشمئزاز المحايدة، كلها في ارتفاع ملحوظ.. ناهيك عن تكنيك "مرآة ما بعد المرور" المتبع باحترافية..

وتكنيك "مرآة مع بعد المرور" تكنيك شهير في أوساط فتيات هذا النوع، وهو يستخدم بعد مرور الفتاة على جمع من "الذكور" الذي يتفحصها بشكل غير مباشر -أو مباشر- أثناء مقدمها للتتأكد الفتاة من تمام التأثير البصري والشمّي على الجمع، ولا بأس من غمس الفتاة يدها في نهر الحرير المُهَفهف على الخدود من باب الكاموفلاچ!

ونحن الآن -في ذلك المول الشهير- نتابع مراحل التكنيك باقتراب الكاميرا من الفتاة، إذ تمرق على طاولة ذات شباب -في سن تأخر الزواج القهري الاقتصادي- متوجهة نحو مركز طلب الطعام، لتحوله لمركز أنظار كذلك بوقفتها المائلة نحو الكاشير بزاوية "منحرفة" قدرها ٦٠°، حسب تعبير أحد طلبة الهندسة الجالسين على الطاولة (كما اتضح لنا من الرموز الرياضية المعقدة في الأوراق المتناثرة أمامهم).

وها نحن أولاء نقترب من المشهد المنعكس في المرآة الصغيرة في يد الفتاة، الذي يوضح وجوهًا كثيرة ليس من بينها وجهها، وإن كنا بكاميرا (٢) نستطيع رؤية ابتسامة الشفتين المبتلتين -صناعيًا-

على وجهها حسن الصياغة، إذ ترى نجاح تأثيرها على رجل الكاشير -رغم كبر سنه- من الأمام وعلى الشباب من الخلف المنعكس، ولكنها -إذ تدقق في المرآة- ترى أن كل الوجوه تشي باستمتاع أصيل (حتى وجوه العابرين)، عدا وجه أحد الجالسين على الطاولة الذي دفن نظرة مقت صريحة في الأوراق أمامه.. وترى الحاجبين الشاهدين على براعة شديدة في النمص يرتفعان في دهشة من تلك النظرة الفارّة من القطيع، ثم ينعقدان في دهشة من قناعة النظرة بالعشب الغريب المعقد في الورق!

وبالعودة لكاميرا(١) واقترابها أكثر من شباب الطاولة؛ نجد أنهم يتنوعون ما بين مستمتع عن تقدير لبراعة الصياغة أمامه، ومستمتع عن وجوب الاستمتاع طالما أن هناك متعة متاحة أيًا كان نوعها أو مستواها.. ومستمتع يحاول ألا يبدو مستمتعًا من باب التفاخر بأنه رأى الأفضل.. ومستمتع مختلس خشية التفاتة مفاجئة واتضاح أن الفتاة من النوع الأول الذي يجرّم الناظر، ولا يجرم المنظور إليه.. وغير مستمتع على الإطلاق وهو المثال الوحيد بين الجالسين الذي سنتوقف عنده بالكاميرا للحظات لمعرفة سر شذوذه عن الباقين..

فبتفحص الفتى من أعلى لأسفل نرى أنه -بترتيب تركيز الكاميرا-: لا يضع جيلاً في شعره -ينظر للفتاة نظرات "باصقة" تستمر لربع ثانية على

الأكثر، حين يضيق بدعوات ولكزات أصدقائه لإمتاع النظر- ذقنه ليست نصف نامية، رقبته خالية من السلاسل، بنطلونه ليس "منخفض الوسط"، لا يرتدي خفًا بإصبع، حذاؤه ليس ذا ماركة شهيرة، ألوان ثيابه متناسقة ولا تحوي كلمات بذيئة مكتوبة بحروف مبعثرة من باب الاستظراف الخانق، يحاول جاهدًا أن يجذب انتباه محيطيه لِما يبدو أنه مسألة حسابية معقدة تحتاج لمثل هذا الإجماع لحلها.

وتنبئنا كاميرا(٢) أن العيون المكحلة بذات لون العدسات والحُليّ، قد ضاقت متأملة في ذلك الفتى بالذات محاولة فهم نظرة المقت الشديد التي تبْرُق للحظة في مرآتها ثم ترعد مدفونة في الأوراق مرة أخرى..

فهذا النوع من الفتيات يصنف الرجال إلى:-

- رجال مستمتعين (٩٠%):

ويتراوحون بين من هم على أعتاب المراهقة ومن هم على أعتاب القبر، وتختلف طرق الاستمتاع طبقًا للسن والخبرة والظروف المحيطة.

- رجال غير مستمتعين(٩%):

ويشملون المتدينين المحصنين (أي المتزوجين) وبعض غير المحصنين (الذين يغرقون في بحر من التوتر ولا يرفعون نظرهم في وجودها أبدًا).

- أشباه رجال(١%):

ويشملون الآباء والأبناء والإخوة والأعمام

والأخوال والجدود الذين يسمحون لأي من نوعي الفتيات محطات الأنظار بالخروج من البيت بهذا الشكل.

تنبيه: الشمول الأخير هو شمول من وجهة نظر الفيلم المحايدة، وقد منعت الرقابة عرض شمول أشباه الرجال من وجهة نظر الفتاة.

أما هذا الفتى، فإن كان أقرب للفئة غير المستمتعة فإنه يختلف عنها في مناطق عديدة.. فهو -أولاً- يرتدي ثيابًا وسطًا، لا هي من سخافة العهد البائد ولا من فجاجة العهد السائد بالنسبة لسنه، كما أن ذقنه حليقة تمامًا مما يجعله ينحصر في فئة ضيقة جدًا ممن عرفتهم من غير المستمتعين.. ولكن تأتي نظراته ذات المقت الصريح لها لتطيح بفرضية الـ٩٠٪ بأكملها لأنها تعارض أهم مبادئها وهي التوتر العارم مع تحاشي النظر بتاتًا..

ويأتي صوت رجل الكاشير خفيضًا أملاً في عدم لفت نظرها المركز في المرآة لأطول فترة ممكنة حتى يستمر العرض إلى ما شاء الله، ولكن عداد ذنوبه المتضامن مع عداد ذنوب الفتاة -الذي نراه في ركن الشاشة ولا نستطيع ملاحقة أرقامه فلكية الازدياد- يقرر أن يأخذ نفسَه لبعض الوقت بأمر من القدر لتأخذ الفتاة طعامها وتذهب لطاولة مجاورة لطاولة الشباب لتجلس مواجهة لهم هذه المرة، وبمواجهتها تقلص عدد المستمتعين المباشرين، وتزايد عدد المختلسين مع تزايد عدد الصافرات المغطية للألفاظ

البذيئة -اتباعًا للقواعد الإعلامية المحافظة- المعقوبة بضحكات تشي بقذارة الكلمات مع ضرب الأكف استحسانًا لمنطق البذاءة الطريف!

وتتوالى التكنيكات -المتوارثة والمتداولة بين فتيات هذا النوع- لمحاولة جذب نظر شخص بعينه لأشياء بعينها، ورغم اختلاف التكنيكات وتنوعها -ما بين تكنيك "الشفاطة" وتكنيك "الساندوتش" وتكنيك "الفتات الساقط سهوًا"- إلا أن الفتى ظل على حاله كما توضح الكاميرا المثبتة عليه، وإن كان قد نحى الأوراق الرياضية جانبًا وأمسك قلمه يخط كلماته الخاصة على بعض المناديل الورقية من أثر الغداء الماضي.

وقد استرعى ذلك التغير الطفيف -الذي لم يغير من نظرات المقت شيئًا- اهتمام الفتاة حتى صارت تنظر إليه باهتمام مباشر وفضول قطة، كتلك المرسومة على كتفها العاري.. ومع اهتمامها بدأ الشباب يهتمون كذلك بماهية ما يكتب الفتى الذي توقف عن محاولات جذبهم للمسألة أو تنفير الفتاة منه، وصار يكتب كالمحموم على المنديل.

والآن انتصفت الشاشة ما بين وجه الفتاة المفكر في التكنيك القادم، ثم المقرّر، ثم المتوجه ناحية طاولة الشباب في ثقة "مشية القطة" الشهيرة، وبين الشاب الذي ظل يكتب في ثبات حتى مع سماعه صوت نعلها الخشبي يدق مصحوبًا برنة خلخال..

والآن يتحد نصفا الشاشة بوصول الفتاة وميلها بالقامة والقول على الشاب الكاتب لتقول:

- " أنا ملاحظة إن من كتر ما معاك مناديل بتكتب عليهم وأنا مش عندي مناديل كفاية.. ممكن شوية please؟ "

فلم يرد الفتى حتى انتهى من السطر الذي كان يكتبه، ثم قام ونظر لها في مقت بارد ساخر وقال بنفس لهجة النظرات:

- "يا سم!.."

ثم لملم أوراقه ومضى قبل أن تستوعب الفتاة ما حدث، ولكن الكاميرا لم يفتها ملاحظة أنه ترك المنديل ذات الكتابة، وأن يد الفتاة المصدومة امتدت لالتقاطه متجاهلة دعوات الشباب بالجلوس لإيضاح كم أن صديقهم مخبول، ويعالج منذ فترة في ... وأنه لم يكلم فتاة جميلة من قبل ولا يعرف أن للحسان أسلوب خاص في الكلام.. إلى آخر ذلك الكلام الذي تجاهله مايكروفون الكاميرا، وتراجع مع الفتاة لطاولتها مركزًا على أنفاسها اللاهثة من فرط الصدمة، ثم اقتربت الكاميرا من الورقة الممسوكة بأظافر منقوشة -لا مطلية- وكبّرت الكلام قدر المستطاع ليملأ الشاشة:

"شباب هذه الأمة شموعٌ متناثرة في ظلمة الواقع الحالك، هذه الشموع بحاجة لقناديل جميلة

ملونة تحافظ على استقرار لهيبها وتنشر الألوان كقوس قزح بعد مطر حزين، فأما اللواتي يقتربن بأنفاسهن الحارة من هذه الشموع، مستمتعات برقص لهيبها المجنون كأسد محبوس لا هو متروك لحاله ولا مقتول بالانطفاء المباشر.. فهن اللاتي سيقتلن الشموع ببطء ولا يأبهن باضطراب الإضاءة الخافتة المتبقية حتى يسود الظلام الدامس.. حينئذ.. ويل لأي أنثى منهن تخاف الظلام!.."

* * *

إهداء واجب..

إلى الأطهار:

من أشاح بوجهه عن عورة مضيئة في ظلام السينما..

من آثر البقاء وحيدًا مع الله على الالتفاف حول ماجنة..

من طهر ملفه الخاص الذي لا يراه غيره على الكمبيوتر من أي نجاسة مرئية..

وغيرهم..

أحبكم جميعًا في الله.. وأفاخر بمعرفتكم أمام رسول الله..

* * *

في مملكة الحزن

بقلم: منى محمد هدهد

الألم.. ذلك الشيء البشع الذي لم تعد تشعر إلا به منذ فترة طويلة، حتى أصبح صديقًا لك، اعتدت عذاباته حتى لم تعد تؤثر فيك، هل تشعر بتلك القبضة الباردة التي تعتصر قلبك؟!.. هل تشعر بذلك الثقل الهائل الذي يجثم فوق صدرك فلا تستطيع فكاكًا، ولا تستطيع حتى التقاط أنفاسك الواهنة؟!.. هل تشعر بأن الموت أقرب إليك من حبل الوريد؟!، هل تشعر أنك تلفظ أنفاسك الأخيرة؟!.

مرحبًا بك في هذا العالم إذًا..

أنت تعلم أنَّ هذه ليست نهاية المطاف، إنها فقط مجرد بداية، هل تتخيل أنه سيتركك تذهب بهذه السهولة؟.. أنت واهم إذًا يا صديقي، أنت هنا في مملكة الحزن الخاصة، حيث ما تشعر به هو مجرد ضريبة مرور، بعدها تعتاد على هذا.

حين يصبح الحزن أسلوب حياة، والاكتئاب ضيفًا دائمًا لديك، والدموع هي غذاءك الدائم، وتتنفس فقط لأنك لا تستطيع إلا أن تفعل!..

في هذا العالم ستجد أرقى المطاعم وأفخر أنواع الطعام.. تذهب إلى أفضل مطعم في المملكة كعادتك دومًا، مطعم التعاسة متفرع من شارع الانكسار،

بالقرب من ميدان العذاب العام!..

هل تريد مرطبات تطفأ ظمأك؟!.. ها هو عصير دموع من الطراز الممتاز.. أمضوا سنينًا طويلة يعتّـقونه ويضيفون إليه من كل وافد جديد، ترتشف رشفات تلو الأخرى منه، مُستشعرًا لذة أن تتذوق أخيرًا دموعًا ليست دموعك المالحة المقززة، التي مللت طعمها من كثرة ما تذوقته، هل أنت جائع؟.. لدينا أفضل أنوع القلوب المشوية التي تم تسويتها على نار هادئة، حتى تحترق ببطء ببطء، تقضمها في بطء مماثل وكأنك ترغب في أن تتذوق ما سيصير إليه قلبك بعد أيام، شهور، ربما سنين طويلة، فالوقت لم يعد هامًا هنا، فكل الأيام تتشابه، وآلامك لا تقل بل تتزايد من يوم لآخر، فقط أنت تأمل أن تكون النهاية قريبة!..

هل انتهيت من تناول الطعام، جيد إذًا تدفع الحساب ببضع قطرات من دمك كالمعتاد وتغادر المكان.

كيف أتيت إلى هنا ولماذا أتيت إلى هنا، لا تدري، فقط تدرك أن هذا كان منذ زمن أطول من أن تتذكره، أطياف ذكريات تمر بخاطرك، ترسم صورًا، تفتح جرحًا جديدًا في عالمك..

أمد يديّ إليكِ بتلك اللفافة الصغيرة، تفضينها، بها قلب أحمر جميل، ومعه مفتاح صغير، تتساءلين:

"ما هذا؟!"

"هذا هو قلبي ومعه مفتاحه!!.."

تمسك بجانبي رأسك في عنف، تحاول طرد الصورة من مخيلتك، تحاول محو الذكرى بلا جدوى، هل تتخيل أن الحزن سيترك هذه الفرصة؟!.. مازلت ساذجًا كعهدي بك يا صديقي!.

تخطف العلبة من يديّ وتجري ضاحكة، أنطلق ورائها، نلهو ونلعب حتى يدركنا التعب، ننهار جالسين على عشبنا الأخضر الذي يتلقفنا بحنان، تنظرين لي وأنظر إليكِ، وننفجر ضاحكين على لاشيء، السعادة تمنحنا أروع لحظاتها، هل يمكن أن يكون الكون أجمل من هذا؟.

تبكي، تبكي كما لم تبكِ من قبل، تتساقط الدموع من عينيك مكتسحة كل شيء في طريقها، تتكاثف الغيوم السوداء في السماء، وكأنما لا ترغب أن يفوتها المشهد، العالم الرماديّ يستمد قوته من ألمك، فتألم أكثر يا صديقي..

هذا أنا، أسير على ذات الدروب، أخطو ربما على الخطوات ذاتها، تتردد كلماتنا التي همسناها يومًا في هذا المكان في أذني، تداعبني الذكرى ويأسرني الحنين، أبتسم للحظات متصورًا أن هذا حقيقي، ثم أكتشف أن كل هذا ما هو إلا تاريخ انتهى ومر، أسير وحدي على الطرقات التي جمعتنا يومًا، تحت قطرات المطر الذي سرنا تحتها يومًا، أفعل كل ما فعلناه يومًا في ذات الأماكن، ولكن.. وحدي.

يداهمك الصداع اللعين، تغمض عينيك الباكيتين وتصرخ، هنا لا أحد يحاسبك على الصراخ، فهو شيء معتاد، غير المعتاد هو ألا تصرخ!!.

صراخ.. عويل.. شظايا تتناثر في كل مكان، تتساقط أشلاء قلبي شهبًا محترقة..

"وداعًا"

تاركة جدران عالمي تتصدع واحدًا تلو الآخر، تتناثر دماء قلبي، وتسيل أنهارًا لتغرق كل أجزاء عالمي، تنسحب الألوان من أركان المملكة، التي سطرتها ذات يوم في خيالي، تاركة الكلمة العليا للأسود العظيم!..

تنهار على ركبتيك من فرط الألم، لم تعد تحتمل، تلك النار التي تخترق رأسك اختراقا، تشعر بها تحرق كل خلية من خلاياك، قلبك يحترق، وتتسارع أنفاسك، هذه المرة تشعر باقترابه حقا، تتمناه حقا، ولكن في غمرة ألمك لا تستطيع إلا أن تتمنى أن يأتي سريعًا، أنت تموت منذ فترة طويلة، علّ هذه هي ساعة خلاصك.. تتصاعد رائحة الشواء، لقد اقتربت النهاية فعلاً، ينظر لك الواقفين في حسد، ويهمس أحدهم: "يا لحسن حظه!.."

لحظات الاختناق الأخيرة، روحك تختنق ببطء، بطء يشي باقتراب الضيف الذي طال انتظاره..

تنظر لهم، ويرتسم على وجهك شيء لم تعد تعرفه منذ فترة طويلة، ابتسامة باهتة سرعان ما

تتوارى خلف قناع الموت.

يعلن مطعم التعاسة ،عن تقديم وجبة
شهية من قلب طازج لم يمض على
إحتراقه ٢٤ ساعة ، سارع بحجز
وجبتك قبل نفادها، والأسعار
مفاجأة..!

* * *

فقاعة عطر

بقلم: *زينب علي البحراني - السعودية*

تكوّمتُ في ظلام زاوية حجرتي وأنا أسمع صوتي المرتعش يقول بما يشبه الهذيان:

- "لم اقصد ذلك.. أقسم أنني لم أقصد، لم يكن خطئي، لست أنا سبب الذي حدث.."

باغتتني صدى صوت ضحكتها قادمًا من عالم عتمة بعيدة مازلت أجهل ملامحها، ليجلد ذاكرتي بما كانت تقوله لي مرات بعد مثل تلك الضحكة:

- "كم هو غريب مضحك كلام بعض أولئك الذين يظنون أنهم أذكياء القسوة!!، ألا ترى أنهم يُشمّرون عن مخالب قسوتهم بقول: (لا أقصد أن أجرح شعورك.. لا أريد إيذاء أحاسيسك.. لا أعني الإساءة) كلما تأهبوا لإطلاق ما سيؤذونا ويسيئوا إلينا ويجرحوا مشاعرنا به؟!..

تردد صدى عبارتها الأخيرة آلاف المرات بين جدران رأسي الذي بدأت شرايينه تنبض بوجع شرس، فأطبقت عليه بكفيّ وأنا أصرخ:

- كلا.. صدقيني لم أقصد.. لم أقصد.

ألصقت وجهي بزاوية الجدار بقلب يتضور بين براثن شعور خانق. لم أكن أتصور قبل يومي هذا أن ما حدث لي قد يحدث حقا على وجه الأرض مرتديا

لون صعقة المفاجأة في غير أخبار الصحف، حيث الأحداث لبصري من ورق، والأشخاص من ورق، والكلام من سواد حبر على بياض ورق.. يراها ذهني الذي اعتاد على حركة واقعه اليومي كعالم خرافي محنط بني بالحبر على الورق، دون أن تكون له صلة قرابة بعالم الحياة التي أمشي على سطحها.. وها هي سخرية القدر من ماضي عبثي تضرب لي يوم غد موعدا أرى فيه جزءا من ذاكرتي مصلوبا إلى الأبد خبرا على وجه صحيفة!.

غدا يستحيل اسم سوسن حبرا على ورق صحيفة، بعد أن كانت هذا الصباح تحفة شباب يسيل عطرا وجمالا يمشي على قدمين، بابتسامتها التي حاولت أن تتشبث بي، فذابت أمام عجلة خطوات فراري منها.

ليتها أقفلت خط الهاتف بعد أن شتمتني وبصقت في وجهي حين كنت أقول لها بحدة متعمدة أنني منشغل عن مقابلتها، كما فعلت معي ليلى.. أو ليتها صفعتني على وجهي بثقل حقيبة يدها حين بدأت التلميح لفهمها بمقدمات رغبتي في مفارقتها، كما فعلت بي فاتن.. وليتها كانت حاذقة أتقنت الغوص في بحر تجارب العلاقات الهشة مع آخرين قبلي إلى الحد الذي لا يردعها عن ابتزاز جيوبي كلما رأيتها، كما فعلت نهى وسهى ولبنى وميساء وجميع أولئك اللواتي نسيت أسماءهن فور لحظة التفات وجوههن عن بصري..

لكن براءتها أصرت البقاء على قيد الطفولة كما عرفتها يوم قابلتها أول مرة. كانت هي الوحيدة التي بدأ لقائي بها بما يشبه الصدفة. التفت إليها انتباه بصري فجأة وكأنها هبطت بهالة من البراءة على مشهد يشبه لوحة مفعمة بروح الطفولة. وجه ضاحك لطفلة كبيرة محاطة بأطفال صغار، تمسك بيدها حزمة من بالونات كبيرة ملونة للبيع.. واتخذ خبثي قراره في تلك اللحظة بأن أخطو نحوها لشراء بالون كي أجد حجة لتسلل حيلتي نحو طريق التعرف إليها.

منذ تلك البداية، وشخصيتي التي تهوى استبدال الفتيات بتقلب فصول مزاجي كانت تدرك النهاية. لكن سذاجة طفولتها كانت تجهل قوانين لعبة مضمار العلاقات العاطفية الهشة التي أتقنتها أنا منذ نعومة أظفار مراهقتي.. وكنت أراها من أولئك الذين مازالت براءة قلوبهم تؤمن بمبادئ الحب القيسيّ الملوّحي، الذي كنت أنا راسخ الإيمان باستحالته إلى أسطورة تافهة من أساطير الأوّلين التي توفيت مبادؤها بانقراض عصر المتفرغين لنظم القصائد في النساء ونوق الصحراء.

كانت سعيدة سعادة من يبصر جمال الأشياء بعين جديدة، وحذر أغمي عليه أمام التفكير بصلة القرابة بين الحزن وبين ما تخبئه جعبة أيام المستقبل، إلى الحد الذي كنت معه أغبطها وأشفق عليها بينما تسخر أعماقي وذاكرتي المخضرمة بالتجارب من سذاجتها في اللحظة ذاتها. وحين هبط موعد الخريف

على رغبتي بالاستمرار معها، كانت هي ما تزال على غارقة الأحاسيس في ربيع باذخ السخاء في أوهام مسراته، وفشل تواطوء تهربي من لقائها آخر الأيام مع لا مبالاتي بالرد على رسائلها ومكالماتها الهاتفية في بذل يد العون لمشاعرها تجاهي كي تبلغ مرحلة الفطام، وجعْلِها تدرك أن أيامنا الماضية لم تكن أكثر من فقاعة عطر أنجبتها رغوة صابونة وردية قصيرة الحياة كان لابد من أن تنفجر حين تبلغ مشاعري حدود فصل الضجر. حتى أجبرني شعوري بالتورط معها على تغيير رقم هاتفي كي أحرم إلحاحها من الوصول إلي، فأبتر تشبثها بي. وهنأت حذري المحترف الذي أصم أذنيه عن توسلاتها لمعرفة المزيد عن مكان سكني وعملي، وإلا لما كان يدهشني بعد الذي أبصرته من تشبثها المجنون بي أن أرى يدها ملصقة منذ الصباح إلى المساء على جرس باب مسكني، أو أراها قد هبطت على انهماكي ساعة من ساعات وقت عملي!!.

لكنني لم أتوقع أن يكون صوت انفجار فقاعة العطر بيننا مدويا إلى الحد الذي أصاب ضميري بهذا الهلع المخبول مذ ساعة ما قبل غروب هذا النهار، حين بزغت فجأة أمام ارتباك دهشتي بعد أشهر ظننت خلالها أنني سيطرت على نهاية معرفتي بها إلى الأبد.

كان الشارع العريض الغارق في لون كآبة ساعة الغروب بيننا، لحظة قبض بصرها عليّ وأنا منهمك

المزاج في تدخين سيجارة، ورأيت تألق تلك النظرة المشحونة بجنون فرح مفاجئ في عينيها وهي تهتف لي بصوت معتق بلهفة انتظار بعيد:

- زياد!..

تظاهرت بأنني لم أرَ ولم أسمع، ومشيت بخطوات مسرعة نحو سيارتي كي أجد طريق الفرار عن مدى بصرها قبل أن تجتاز عرض الشارع نحوي، وخلال أدنى من مسافة غمضة جفن دوى صوت مكابح سيارة مسرعة، ثم رأيت جسدها المتدفق بالدم منكفئا على الأرض، بينما عشرات البالونات التي كانت تحملها كي تبيعها للأطفال قد تطايرت محلقة نحو السماء..

ألقت سيجارتي بجسدها من بين شفتي إلى الأرض منتحرة من هول المشهد.. تبعثرت نفسي في فضاءات لم تعرفها مشاعري لحظة من قبل.. أطبقت جفنيّ بعد لحظات من تحديق جمود صعقة المفاجأة، وبدأت كل حاسة من حواسيَ تنبض ارتعاشا بهلع من أصاب طفلا ببندقية كان يعبث بها دون قصد، قبل أن أفر من صدمة المشهد إلى الغرق في جحيم هواجسي، بين ظلام جدران الأرق النازف اضطرابا في حجرتي طوال الليل.

و ها قد جاء نهار آخر يرتدي أشعة شمس لا تشبه شموس كل نهار اجتاز أيامي الماضية. الحرارة وشراسة الضوء تعانقتا واقتحمتا زجاج النافذة المقابلة لوجهي وسلقتا جلدي بعرق خانق. تحاملت

على اضطرابي ووقفت أمام زجاج النافذة الهش، فبدت الألوان المغمورة بضوء الشمس لبصري المسكوب على مشهد حركة الشارع الرابض على أعتاب الطابق الأرضي من المبنى الذي أسكن شقة من طابقه الرابع أشبه بألوان حمم بركانية سائلة.. ملأت حواسي رغبة خارقة الكثافة في السباحة بين أطباق حرارة تلك الحمم التي تنفث دخانها على بصري، وشعرت والعرق يتدفق بغزارة من مسامي أنني على شاطئ سيولة اللهب الأحمر.. رأيت جسدي بخيالي بالونا ضخما يحلق فوق حرارة البركان. ثم كان آخر ما سمعته صوت زجاج يتكسر تحت بقايا قوة جسدي، بينما كان البالون الضخم ينفجر في الفضاء لتتدفق من جوفه سخونة حمرة الدماء.

* * *

صمت الأقصى

بقلم: علا مازن - سوريا

سنوات طويلة جدًا هي التي مرت على هذه الأحداث..

أوراق هائلة العدد تطايرت من على التقاويم، لتعلن لدى رحيل كل منها عن غروب يوم فصلني عن ذلك الزمن البعيد..

خمسون سنة.. من يصدق مرورها مرور الكرام؟!

لا أذكر شيئًا مميزًا من أي لحظة من لحظات هذه الخمسين سنة..

إنما أذكر كل لمحة من تلك السنة الوحيدة التي سبقت النصف قرن..

و يا لها من أيام!

* * *

فلسطيني أنا.. ولدت بين صرخات الموت والجوع، وترعرعت في أحضان الفقر والألم..

طفولتي، وحياتي قبل أن ألتقي بهم كانت لا شيء.. كانت سرابًا ووهمًا تطايرت أحداثه من ذاكرتي كما تتطاير ذرات الغبار من على الزجاج عندما ينفخها طفل صغير..

عمّن أتحدث؟ من هم (هم) الذين بدأت حياتي

عند لقائهم، وانتهت عن فراقهم؟
إنهم الأبطال.. وإنها غادة..

و الصحيح أنني عندما التقيت بها لم تكن غادة..

بل كانت شيئًا آخر..

* * *

السوق عندنا في فلسطين مزدحم دائمًا.. وتقليدي أبدًا.. لطالما آمنت أن ذرة لم تتغير به منذ عصر ذلك الكنعاني الذي بدأ ببنائها..

كل دجاجة، وكل بيضة.. كل بائعة، وكل مشتري.. لم يتغير أحد منهم طوال حياتهم..

أعلم أن هذا غير منطقي، ولكنه الحقيقة..

الحقيقة أنهم لم يتغيروا طوال عمرهم، لأن عمرهم نفسه كان ولا بدّ أن ينتهي كل يوم !

إنها فلسفة خاصة أفكر بها دائمًا، عندما أدرك أن الذي لا يتغير في سوقنا، هو التغير نفسه !

و هناك، التقيت بهم..

كانوا ثلاثة ملثمين تمامًا، لا يبدو من أجسادهم سوى الأعين الصارمة، يقفون في مواجهة عدد من الجنود الصهاينة المتراخين، الذين يواجهونهم في استهتار ويلوحون بأسلحتهم كل فينة وأخرى في تهديد واضح..

لا أدري ما الذي دفعني إلى الاقتراب منهم لسماع حديثهم.. ربما الرغبة في تغيير التغيير كما أسلفت !

انضممت إلى جانب الملثمين في سكون، وأنا أتوقع أن يزجرني أحدهم لأعود أدراجي خائبًا، ألا أنهم حتى لم ينظروا إلي، وإنما أفسحوا لي مكانًا في صمت يدل على قبول صارم..

و قبل أن أفكر في سبب هذا وسط دهشتي، بدأ القتال..

شهر أحد الصهاينة سلاحه في غضب، وهو يطلق منه الرصاصات في عشوائية شرسة، فاندفعت بلا شعور لأنقض عليه في محاولة لمنعه من إصابتي، أنا الذي أقف أمامه، وانهلت عليه بضربات لم تفرق شيئًا عن الضربات التي كنت أتشاجر بها مع أصدقائي وأنا صغير..

و كشيء طبيعي، لم يتأثر الجندي بالمرة، وإنما ترك رفاقه يلتحمون مع الملثمين الثلاثة ونفضني عنه في عنف وهو يصرخ بكلمات لم أفهمها، ولم أحاول حتى من الرعب السابق للموت والذي هاجمني في قوة..

ألا أن جسد ذلك الملثم القوي حال دون رصاصات الموت التي تلهفت لاختراق صدري..

قد اندفع في سرعة ليعترض المسافة بيننا، ثم انقض على سلاح الصهيوني وأطاح به بحجر صغير في يده، ثم انتقل الحجر إلى رأس الصهيوني ليخر فاقد الوعي في صمت يليق بطبيعة أولئك الملثمين..

نقلت نظراتي المندهشة بين الجندي الصريع

والملثم الواقف في صلابة، قبل أن يشير هو بسبابته إلى رفيقيه ويندفع ثلاثتهم في خفة ليختفوا وسط طوفان البشر..

و دون شعور، وجدت نفسي أندفع واثبًا وراءهم..

* * *

شيء لم أنسه من أيام طفولتي وشبابي، هو تفوقي في الخفة على أقراني..

أذكر جيدًا الهتافات والصرخات المتحمسة التي كانت تدوي من حولي، وأنا أعدو مع أصدقائي صغارًا في سباق كنت أنا غالبًا الفائز به..

و ما ذكرني بهذا كان عدوي السريع وراء الملثمين، وتتبعي لهم لنقطع نصف شوارع القدس، ما بين اندفاع وتسلل وجري واحتماء بالأعمدة والأبنية، خشية من دبابة تمر، أو جنود يطلون..

و انتهت المطاردة بظهور المسجد الأقصى، شامخًا مهيبًا، جعلني أتجمد في مكاني وشعور الخشوع يتسلل ببطء إلى جوارحي، و...

لكزة في جانبي جعلتني أقفز من مكاني شاهقًا في رعب، وألتفت إلى من لمسني متوقعًا رؤية خلقة بشعة من وجوه الصهاينة الملوثة، لكنني أبصرت بدلاً من ذلك بالوجه الملثم إياه، وبالصوت القوي الذي دوى من الملثم الآخر: من حبيبك؟

لو طرح عليّ هذا السؤال في مكان آخر، لارتبكت واحترت، ولما خطر لي لحظة المقصود منه..

ألا أن الأقصى ومسجده قد ألهماني..

مجـرد النظـر إلـى روعتـه والهالـة النورانيـة المحيطـة بقبتـه، والتـي لا يراهـا إلا مـن نـبض بـين ضلوعه قلبٌ خاشع، جعلني أعرف الجواب..

- الله ورسوله الكريم.

صمتٌ فاحتْ منـه رائحـة الإعجـاب الخفـي، ثـم استعادة الصرامة..

- وما هدفك؟

- الجهاد في سبيل الله والوطن السليب.

ارتسم خيال الابتسامة ليلوح واضحًا في عينيْ الغامض، في حين شدّ الملثم الآخر على يدي في قوة قائلاً في حسم:

- مرحبًا بك بيننا يا أخي .

و كانت البداية..

* * *

تسعة شهور..

مجرد كلمتين ضئيلتين في عرف علم القواعد والنحو، ألا أنها في الحقيقة تحمل معانٍ أكثر وأبلغ في طيات أيامها..

دخلت إلى مقر الملثمين، مقر المقاومة، شابًا عشرينيًا غريرًا، لا يملك قوة إلا رغبته المشتعلة في

تحرير بلاده الجريحة.. وخرجت بعد التسعة شهور هذه رجلاً صلبًا، يملك القوة لتحطيم كل جيوش الكون بمفرده من أجل تحقيق هدفه..

تعلمت منهم.. عانيت وتعذبت معهم.. اغترفت من نهر صلابتهم الذي نبع من محيط الحياة المتقلب الأمواج..

كانوا عشرة فحسب، عرفتهم وألفتهم جيدًا..

أدركت قوة كل منهم التي ماثلت عدّة وعتاد سرية بالكامل..

ألا أن الغامض بقي غامضًا..

لم أنجح يومًا في سماع صوته، ولولا تأكيدهم أنه ليس أخرسًا لظننته كذلك..

و حتى هم.. لم يعلموا بهذا إلا من نفيه هو صفة الخرس عنه، بإشارة من يده طبعًا..

صامت دائمًا، حازم صارم أبدًا.. قائد تزن الشجاعة في نفسه أطنانًا، وعربي أصيل..

أكثر ما لفت نظري به، هو أنه تحلى بكل ما تغنّى به الآلاف عن أجدادنا العرب في عصر ازدهارهم، من شجاعة وشهامة وكرم وما منه..

لم أعرف يومًا أنه بدأ بالأكل والشرب قبل أن يطمئن إلى أننا فعلنا واكتفينا..

لم أره قط يتجاهل غوث المصاب، أو لا يلبي نداء أسير..

و لكن شيئًا ما لم أدرك كنهه كان غريبًا فيه..

شيء كنت أقرأه في عينيه عندما أحدق بهما، لكنني قبل أن أفلح في الوصول إلى الحقيقة، كان هو يسارع إلى تحويل عينيه أو إغلاقها..

ولم أفهم ما هو هذا الشيء إلا بعد فوات الأوان..

و بعد هذه التسعة شهور، كان لا بدّ أن أقوم بأول عملية خطيرة لي..

كانت غارة على إحدى الثكنات العسكرية الصهيونية، لكي نحرر العرب المعتقلين به..

و لكنها لم تكن سهلة..

أو حتى صعبة فقط..

لقد عرضوا عليّ أكثر من مرة أن أتخلى عنها، وأوضحوا تمامًا أنهم لا يضمنون بقاء أحدهم على قيد الحياة، وأنهم ما أن تدوس أقدامهم الثكنة حتى يكون ذلك بمثابة تعليق لأرواحهم على أكفهم، والتي ولا بدّ أن تفلت ما بها لتحمل السلاح..

و لكنني رفضت بإصرار، وكنت أعلم أنني إن جبنت وخشيت من الموت، فهنيئًا لي بالذل والنذالة..

في فجر كئيب انطلقنا نعبر شوارع القدس، التي كانت وما زالت وستظل شامخة أبيّة مهما عبث بها وغد الاستعمار..

استقبلتنا أشعة الشمس الوليدة المطلة من وراء قبّة الأقصى، لتباركنا وتحرس خطانا نحو الفداء والاستشهاد..

لكم كان صمتنا في هذه المرة رهيبًا، مع أنه لم يختلف في شيء عن صمتنا الدائم..

لكنه كان في هذه المرة صمتًا من نوع آخر.. ليس بصمت الخوف والهيبة، إنما صمت الابتهال والدعوة إلى الله السميع، لكي يساعدنا ويمنحنا شرف الشهادة..

لم يكن لأحدنا ما يمكن أن يخسره..

العائلة والأصدقاء.. المعارف والأعداء.. كلهم سبقونا إلى حيث جميعًا سنكون لا محالة..

فلم لا نلحق بهم من الآن؟ !

أطلت الثكنة النائمة من بعيد، فتبادلنا نظرة صامتة أخيرة، تنطق بالوداع والفرحة لقرب اللقاء في نفس الوقت..

ثم تحطم الصمت أخيرًا، بأجمل كلمتين في الوجود..

_ الله أكبر.. الله أكبر!

انهار جدار الصمت الأبدي تحت كبر الله أكبر الأقوياء والغالبين..

حتى الغامض، نطق أخيرًا بكلمة الحق، واندفع معنا جميعًا إلى موتنا المحتوم..

انهالت القنابل علينا كالسيل، دون أن تستطيع إعادتنا إلى الصمت..

لم يبق في النهاية إلا ثلاثة..

أنا، والغامض، وثالث ما لبث أن رحل بدوره..

زأر مدفعانا بالرصاصات الطائرة من فوهته، وأنا أهتف في حماس جنونيّ: الله أكبر.. انتصرنا! هزمناهم! الله أكبر !

بدأ الأسرى يندفعون إلى الحرية غير مصدقين، ما بين دموع وصراخ وحنين، فارتسمت ابتسامة الارتياح أخيرًا في عينيّ الغامض، وهو يخفض سلاحه بعد أن اطمئن إلى رحيل الأسرى عن أخرهم..

وانطلقت الرصاصة الغادرة لتخترق ظهره بغتة، وتفجر منه دماء الحياة..

صرخت في ثورة، وأنا أردي الصهيوني المختبئ قتيلاً في جنون..

لم يكن ما أغضبني هو موت زميلي.. فهو سيذهب إلى جنان الخلد..

ما حزّ في نفسي هو أنني الوحيد الذي لن ينعم بها قريبًا..

ركعت بجانبه وأنا أزيح لثامه لأرى الجرح، لأكتشف الحقيقة أخيرًا..

- مستحيل!

انطلقت الكلمة من شفتيّ كالرصاصة التي اخترقت ظهرها..

لقد كان الغامض فتاة، وكان اللثام هو غطاء رأسها الصغير..

ابتسمت في صعوبة متألمة، وهي تغمغم في تهالك متحدّ: أجل.. فتاة اسمها غادة.. هزمت الرجال.. فيا للعار!

و عاد الغامض إلى صمته الأبدي، بعد أن لم يعد غامضًا..

أغمض عينيه عن عينيّ، بعد أن زال ذلك الشيء الغريب الذي لطالما قرأته في عينيه..

تخلى عن لثامه، بعد أن كشف عن وجهه ليستقبل به وجه ربّه..

لقد ذهب الغامض.. وذهبت غادة..

* * *

و بقيت أنا..

ها أنذا أخيرًا ألفظ أنفاسي الأخيرة، لألفظ معها ذكرى غادة، وأذهب لألقى صاحبتها بدلاً منها..

و لكنني لن أقول وداعًا..

لم يعد هناك ما يستحق الوداع هنا، بل هناك..

لقد حان اللقاء أخيرًا..

* * *

طيور على شجرة و سور

بقلم: محمد عبد العال احمد علي

حينَ تمضي، حيث تمضي

حين تَرسُو بأيّ البلاد

حينَ تشكُو لأيّ صَمتٍ

عن دمع شوق ذلّه البعاد

تذكر أنّي باقية للميعاد

تلكمُ كانت نهاية قصة حب بدأت مصادفة عند سور متين يفصل بين قريتين، لا يدري أحدهما عن الآخر شيئًا..

وهذه بداية القصة عند السور..

أيا فاتن الثغر غنّي

يا من تحيَا لشدوك الأماني

قاسمني نثر الغرام ودعني

لنشوةٍ ترافق طيف الزمان

هكذا كانت تغني بصوت رقيق عند السور، لمّا باغتها تصفيق من الجانب الآخر من السور، وكلمات إعجاب جعلتها تستحي وتنقطع عن الغناء:

- "يالهذا الغناء العذب، ترى من تكون صاحبته؟"

- "ومن ذا الذي يسأل؟"

- "أرجو المعذرة، كنت أتفقد المكان فشدّني

غناؤك!''

- ''من تكون؟''

- ''إني من أهالي القرية خلف هذا السور.''

- ''وهل خلف السور قرى؟!''

- ''نعم.. توجد قرية جميلة وأنا من أهالي تلك القرية.''

- ''وأنا أيضًا من أهل القرية في الجهة المقابلة لكم من السور.''

- ''أية قرية؟ لا أدري خلف السور إلا غابة موحشة!''

- ''لا غابات هنا، توجد قرية صغيرة.. ولا تنمو سوى تلك الشجرة الجميلة المترامي بعض فروعها هنا والباقي خلف السور عندك.''

استغرقتْ تحاوره ساعة كاملة، حيث استفسر كل منهما عن الحياة في الجهة المقابلة، وعن البيئة وشكل الأرض خلف السور، وقد أسعدهما الحديث؛ فتعاهدا على أن يتقابلا غدًا عند السور، ولتكن علامة اللقاء الشجرة الكبيرة.

أشرقت شمس اليوم التالي على تنهيدة من الفتاة تلتها صيحة فرح لقرب ميعاد ذاك الغريب ظريب الكلام..

وعند الشجرة جلست تترقب حضوره، لكنها أغفلت كيف ستدري حين يجيء، فقررت الغناء لكنها فوجئت بحجر يُقذف من فوق السور، فصاحت:

- "ماذا تفعل؟!"

- "أنتِ هنا؟!"

- "نعم.. منذ قليل."

- "وأنا هنا أيضا منذ ساعة، لكني لم أسمع نداءكِ أو صياحكِ أو حتى غناءكِ، فقررت أن أرمي ببعض الحصى لعلي ألقى جوابًا منك."

- "وهل تسمي هذا حصى، إنها حجارة قد تؤذي، أكان لك أن تنادي أو تصيح عاليًا؟"

- "لم يخطر ببالي أن أنادي!"

فيضحكان لسذاجة تصرفه، ويغرقان في حوار طويل دام كثيرًا، إلى أن تعبتْ هي من كثرة الصياح وقررتْ الذهاب، وكادت أن تطلب منه المجيء في اليوم التالي لكنه طلبها أولاً، فوافقت على الفور.

لقاؤهم غدًا في نفس الميعاد..

وأتى الغد مُحمّلاً بأسئلة جريئة تبادلها الطرفان، وجاوب كل منها بوضوح وصراحة.. إنْ هي إلا أسئلة شخصية تسمح للسائل العبث في نفس الآخر ومعرفة ما يرضيه ومالا يستسيغه، لكنها فتحت بابًا للصراحة وأمانة الحديث أدى لطريق لا يسمح بالعودة والكذب، وظلت الصراحة قائمة بينهما فلا يدري أحدهم من الآخر إلا الوضوح، ويبدو أن الفتاة شعرت بالأمان معه فهناك سور عالي ومتين يحجبها عنه إن فكر بسيئ أو قبيح، ففاضت له بكل ما تملك من أسرار وخفايا، وشاركها هو أيضًا أسراره

وخفاياه، فصار سره سرها، وصارت خفاياها خفاياه..

صار كل منهما يفكر بنفس الأسلوب ويستنتج نفس النتائج، حتى أنه حين يحاول الإعراب عن شيء تذكُرهُ هي له قبل أن يتفوه هو ويقول، وحين تتألم هي يصيبه نفس الألم، وحتى في الأحلام، يريان دائمًا نفس الحلم في نفس الليلة فتحكي هي نصف الحلم ويحكي هو النصف الآخر، وحين يأتي يوم لا يتمكن هو من المجيء تحس هي بذلك وتعلم أنه مشغول أو مريض، فشُغله يشغلها ومرضه يؤرقها.

دار الحب وطاف بين قلبيهما فما كان لهما إلا أن يُسلِما له ويعلناه صريحًا بينهما، وما أسعد قلبيهما بهذا الحب الخالص، لقد انتعشت القلوب ودقت بحنان راقصة على عذوبة حفيف أوراق وغصون الشجرة، التي باتت رمزًا ثابتًا يشهد على حبهما وتعلّقهما ببعضهما، تحمل على أغصانها طيورًا توزّعت كأوركيسترا تعزف لهم أناشيد العشق وترانيم الغرام، المُحلى بردود من طيور أخرى ارتصّت على السور، تنتصفهم وتسجل ما يقولون لتروي أسطورتهم لكل عاشق مر بتجربتهم أو غرق في الحب.

- صِف لي كيف يكون مظهرك..

- وكيف أصفه لكِ؟

- أنت تكلم ودعني أتخيله على أوراق الشجرة.

- حسنًا.. أنظري إلى الجزء الأيمن المتطرّف من الشجرة، إنه كوجهي.

- نعم أراه.. نعم أراه، ملامح رجل أسمر وسيم الطلة، تسكن وجهك ابتسامة دائمة لا تقصد شيئا سوى البشاشة، أراكَ كثّ الشعر متصل الحاجبين، ضيق العينين وأنثويّ الأنف والشفتين، أما الذقن فهي طويلة بغمزة في أسفلها، لكنّ طيرًا جريئًا مرّ الآن من على خدك وترك ندبة جميلة زيّنت مظهرك وجعلتك أنيقًا كعادتك.

يضحك لهذا ثم يستطرد ويقول:

- صدقتِ.. وأنا أراكِ حين أنظر للشجرة: وجهك بيضاوي جميل لونه كبياض الثلج، عليه جوهرتان متسعتان تمتلئان سعادة وهناء، يزينهما من فوق حاجبان منفصلان صغيران، وخدان نَضِران بغمازات وردية، وفمّ صغير يعلوه أنفٌ خنساء فرنسية..

فتعلو ضحكاتها متأثرة بـ(فرنسية)، وتقول:

- "جعلتني فرنسية الجمال!"

- "وهل الفرنسية أحسن منكِ حالاً؟! أو أبرع منك جمالاً؟!"

- "لا أحسبها أكثر مني جمالاً، لكني أعلم كوني أجمل من أي فرنسية أو أوروبية حتى.."

فتلوح ابتسامة لا معنى لها على وجه الفتى، أو كأنها تعبر عن راحته علمه جمالها أو تنم عن خيبه

أمله في وصفها، فلم يوفّها حقها في الوصف، فيقول:

- "وهل قولك هذا سببه الغرور أم إنكِ تخشين علمي بساطة جمالك، أو أنني أخطأت في وصفك؟! "

- "لا هذا ولا ذاك.. أنا حقًا جميلة وأجمل من الفرنسية، وأنت لم تخطئ؛ فما قلته ينطبق عليّ! "

هكذا كان الحال بينهما، شد وجذب وتبادل لأطراف الحديث، يوم يفرحان ويوم يبكيان، تشاركا كل شيء، فالفكرة صارت واحدة والأنفس صارت متحدة والقلوب تدق على نغمة موحدة، أما العقول تاهت ولن تجد لها مرسى أو مستقَر.

هذا هو حالهما لكنهما سعيدان جدًا لهذا، ولم يفكر أي منهما بلقاء الآخر خلف السور أو رؤيته، ولم يفكر أي منهما أيضا بوضع حدًا لهذا أو تسطير نهاية سعيدة أو حزينة، بات حالهما كالباكي يريحه لطم خدّيه..

لكنّ يومًا مشئومًا حمل معه أفكارًا سيطرت على عقل الفتاة، جعلتها تلتقي يومها بالفتى حزينة كئيبة رافضة لأي شيء، وعلى الفور أحس هو بها فسألها عما يدور برأسها وسبب تعاستها فجاوبت السؤال بسؤال وقالت:

- "ما بالك لو غبت عنك يومًا ولم آتِ مرة أخرى، أتجلس وتنتظرني أم تولي وتنساني؟ "

سؤال مفاجئ.. قاسي، بل أشدّ، إنها صاعقة لم

يفكر فيها أحد..

صمت الولد، فلم يع لهذا جوابًا، فحاول أن ينطق فلم يستطع، حاول أن يَزفُر لكن أنفاسه احتبست بداخله حارة تحرق رئتيه، فبكت هي وصارت تقول:

- "تعلم أنني لن أفعلها ولن أتخلى عنك فأنت خير ما وجدت ونِعمَ مَن صادفت، إن غبت عنّي ستظل ذكراك خالدة بقلبي، ستتوق نفسي إليك دومًا وسأغني لك وأرثيك مهما حييت، حبّك عامرٌ بقلبي ومعمّرٌ كتلك الشجرة، راسخ في نفسي كذاك السور القائم بيننا، وستشهد تلك الطيور على قولي إن حدث، ستطير لك إن كنت بأقصى الأرض وتنبؤك عن حالي.."

قالت كلامًا كثيرًا لم يع منه إلا القليل لأن حنجرتها تمزقت وهي تحكي وتبكي وتصيح، لكنها لم تتوقف عن الحديث وتحول صياحها إلى نواح ورغم ذلك واصلت الحديث، شعور ما أوحى لها أنه سيغيب، يومًا ما لن يعود ولن تلقاه وتسامره، يومًا ما لن يعود..

ظل الولد واجمًا يلتقط ما تلقيه من خلف السور دون أن ينطق، قد تميّزت نفسه وضاقت فأنفاسه حارة وأفكاره باردة وعقله قد تبلّد..

ظلت تقول وتقول حتى سعلت دمًا أحمرَ قاتمًا وتقيّأت ما تحمله بطنها، ثم همدت على الشجرة وظلت تبكي وتبكي وتبكي، ثم أعربت بتمتمة فطنها

الفتى على أنها تريد الرحيل، فتركها ترحل ورحل هو أيضًا..

وبعد أيام بطيئة..

حلّ الخريف وبدأت الشجرة تذبل، أصابها الشيخ في قلبها كما شاخ قلب الفتاة، إنه خريف الشجرة وشتاء الفتاة، باتت أيامها مكتئبة، دائمًا تعيسة وحزينة لا يهنأ لها بال ولا يجف لها خد، تعلم أنها النهاية وتدري أن حبّها فاني..

ولمّا عادت للشجرة كانت الطيور قد ولت وهاجرت لمكان بعيد بعدما فقدت أعشاشها فوق السور والشجرة، بعثرتها الرياح الباردة واقتلعتها فما كان لها إلا الهجرة، تاركة الفتاة والشجرة..

لكن أين تلك الشجرة، فوجئت الفتاة أن جذعها ذابل ومتعفن، فانكبّت عليها تصرخ وتبكي، وحين لامستها وجدتها باردة ميتة بلا روح، كحبها بلا روح، كعمرها الذي انتهى، كالشجرة الميتة لن يفيدها سقيُها بدمعها أو دمها، فظلت تبكي وتنوح وأيقنت أنه لن يعود، وإن عاد لن يجد الفتاة التي أحب، قد ذبلت مع الشجرة ولا سبيل لاستعادة نضارتها..

لكن لن يكفيها البكاء وحيدة مع الشجرة، هو حبيبها وسبب نكبتها، يجب أن تجده وتبكي في أحضانه، يجب أن تريه كيف أثّر فيها غيابه..

فقامت، وجرَت بمحاذاة السور علّها تجد شقًا

يؤدي إلى الطرف الآخر..

- "لا.. مَامِن شقّ في هذا الاتجاه، فلأتبع الاتجاه المعاكس.. أيضًا لا شقوق هنا، السور عال ولن أتسلقه، فلأتسلق الشجرة.. نعم سأتسلق جذع الشجرة فهو يرمي للطرف الآخر.. "

وتشبثت بجذع الشجرة:

- "إنه رطب وبارد ومع ذلك تسلقه سهل، لقد غزته الديدان والطفيليات لكن هذا لن يقرفني ولن يمنعني من العبور.. "

هي الآن فوق السور، أمسكت بأحد الأفرع وتأكدت من مرونته وقوته ثم قفزت إلى أرض حبيبها، سقطت بقوة وغابت عن الوعي..

أفاقت بعد قليل وهمّت بالوقوف لكن كاحلها ملتوي، لا لن يمنعها الألم، فقامت وتطلّعت حولها لتجد نفسها وسط الأحراش، هنا نباتات برية وهناك شجيرات أفرعها ملتوية، صخور مترامية وجبل بعيد، لا أثر لقرية أو حتى كوخ واحد.

ساوَرَ خلدها أنّ وهمًا كانت تعيشه فلم تقتنع، لم تيأس، ستجد فتاها طيب القلب، لن تتوقف حتى تجده.

ظلت تبحث وتجوب الجبال والوديان، وعبرت أسوارًا وحدود لكن لا أثر لحبيبها، حاولت العودة إلى سورها وشجرتها آملة أن يتواجد هناك بانتظارها لكن الأسوار متشابهة والشجرة اختفت، لم تستطع

العودة ولم تجد شجرتها أو حبيبها..

وهكذا هامت في البلاد وهي ترثي حبيبها وتغني:

حين تحكـي الطيور وتُـردد

عن أجمل حـب قـد تبدّد

عن لحن أغنية نسيها الأمد

عن أطهر ذكرى لِمَن يُعدّد

أحبك دومًا وإلـى الأبـد

واشـهـدي يـا طيـرُ أنّـي

للعشق أخلصتُ المَدَد

حُبّـهُ مَجدِي، ولـهُ عُمري

لـهُ إن عادَ نصيبَ الأسد

نسيتُ إن عادتَ أيّامَ الحِداد

* * *

انتظار

بقلم: أيه محمد عبد الحكيم

أمام الباب جلست انتظر مجيئه.. على ذات المقعد في ذات الموقع.. طوال ست سنين جلست ذات الجلسة انتظره.. أتلقاه بأجمل ابتساماتي..

لن أدعي أنني تزوجته عن حب وهو كذلك..

كنت أبحث عن زوج، وكان يبحث عن زوجة.. وهذا ما جمعنا.

الساعة العاشرة الآن.. موعد وصوله من المكتب الهندسي.. أصر على العمل فترة مسائية رغم أن حياتنا تامة الرخاء.. ورغم أنني لا اعرف أين يذهب بتلك النقود.. كان يعمل فقط ليبتعد عني.. ليزداد رحيله..

حين قبلت الزواج به كنت أعرف كل شيء عنه.. وكان يعرف كل شيء عني.

أراه جالسًا معها.. تنبض عيناه بسعادة لا يحتملها قلبه.. سعادة تفيض على كل من حوله.. أعرف أنه أحبها كثيرًا.. حتى حين رحلت ظل يحبها.. كنت أعرف أن نسيانه إياها صعبًا إن لم يكن مستحيل لكني قبلت..

لم أكن أحتمل الفشل.. ولقد فشلت مرة وسأنجح هذه المرة.. سأفعلها.

العاشرة وعشر دقائق.. بدأ التأخر كعادته..

لست ادري لم يصر على الابتعاد عني! رغم أننا تعاهدنا على التفاهم.. ربما لأننا عرفنا أن كلاً منا لن يحب الآخر.. لكنني حاولت.. وحققت نجاحًا سعدت به حتى يومي هذا..

لكنه ابتعد.. لم يحاول أن يفهمني.. ولم يحاول أن يبحث معي عن تلك المنطقة الوسطى بيننا.. كنت أتقدم ناحيته خطوة فيبتعد عشر!.. لم يبتلع عصبيتي ولم أتحمل بروده.. لم يعجبه نشاطي ولم اركن للهدوء مثله..

لكنني أحببته.. ربما لإصراري على النجاح.. أردت زواجي ناجحًا.. أردته بكل كياني..

طوال ثلاث سنوات تفانيت في حبه..

كنت أبحث عنه فلا أجده إلا نائمًا.. يوليني ظهره.. أناديه برفق فلا يجيب فأتأكد من نومه.. حينها فقط يدعني أحبه..

أتلمس ظهره في الظلام؟؟ تمتد يدي برفق إلى شعره.. تتخلله أصابعي لألتمس دفئه المفقود..

أحيانا كنت أعرف أنه مستيقظ.. يتجاوب معي.. كنت أشعر به يقترب مني.. بظهره.. يتركني أعبث بشعره الناعم وأتلمس يده الدافئة.. البعيدة.

أحيانا كان يقبض عليها.. قد تكون انقباضات نائم لكنها كانت تكفيني.. كنت أوهم نفسي حينها أنه يمسك بيديّ كحبيب يتشبث بحبيبته.. كما كان يمسك بيدها دائمًا..

كنت أسرقه من نفسه.. أسرق لحظات سعادتي معه دون أن يشعر..

تمر عدة أيام دون أن يبادلني فيها أكثر من كلماتٍ معدودات.. أعِدُّ الطعام في صمت.. نتناوله في صمت.. نشاهد التلفاز في صمت.. صار الصمت ضيفنا الدائم.. وارتضيت به..

العاشرة والنصف..

منذ ثلاث سنوات عرفت بأمرها.. الأخرى..

حين ازداد صمتًا.. وازداد الجسد الدافئ برودًا..

حين أولاني ظهره ولم تعد أصابعه تقبض على يدي..

حين ابتعد عني وبدأ الانسحاب من حياتي..

سألته في وجل.. ولست ادري كيف خرج صوتي هادئا رغم ذلك..

- هل... عادت؟

أولاني ظهره.. تمامًا كما اعتاد..

- نعم..

- تحبك؟

- نعم..

لماذا هذه البرودة تعتريني؟ ألم أتوقع هذا يومًا!..

- لا تطلقني..

-..............!

و لم يطلقني.. تزوجها ولم يطلقني.. أين كانت كرامتي؟ ومن أين جاء استسلامي؟! لا اعرف!..

لكنني أشكره.. قدر أنني لم أحتمل الطلاق.. يعرف أنه عقدة طفولتي ولم يشأ أن تتكرر مأساتي ثانية..

إنها الحادية عشرة..

أظنه لن يأتي الليلة..

منذ ثلاثة أعوام انتظره.. في ذات المكان.. على ذات المقعد..

يأتي أحيانًا ويغيب أحيانًا.. يبكر أحيانًا ويتأخر أحيانًا..

و ما زلت انتظره..

* * *

إلى الحريق

بقلم: سمر سمير محمد الخولي

فلتحترقي.. ملعونة أنت.. لقد ضقت بك ذرعًا..

اصمتي.. اخرسي.. قد اكتفيت..

بك شربت كؤوس المر وصدمت في الصديق وكرهت الطريق وأضعت الحلم وفقدت الأمل وانتهيت..

إلى الجحيم يا ملجئي يا من كنت يومًا رايتي يا من عبدت ماءك وسجدت لسمائك وكان ترابك هو الذهب.

من أول يوم وطأتك قدماي لم أرَ غير النيران.. غير الخراب.. غير الضياع.. لم تكفّي يومًا عن أذيتي، عن النيل مني ومن كرامتي والخوض في عرضي.

أحبطتني وأضعتني وأصبح الشر عاصمتك وأصبح الدخان علمك وتركت الأقدام تدوسنا وتدنس معابدنا وتشرد أطفالنا وتنهب تراثنا وتخرب عقولنا..

اسودت الوجوه وجحظت العيون ونزفت القلوب.. لقد قالوا: إن إبليس الآن هو الحكم وأتباعه.

يطبقون دستور الفشل..

تركوا لكل قانون ثغرة.. كأن الهدف هو الخنوع للظلمة..

تركوا لكل إمام غانية.. كأن النتيجة المرجوة هي

الفوز للفجرة..

اكتنزوا الأموال واستباحوا الربا.. ويقولون الخير هنا؟؟

وخلف كل باب من بيوت الشرفاء عالم مدمر.. مقنع.. مزيف.. أخوات خونة وآباء معتدية وأمهات تُركِن للفضيلة وتناسوا الرحمة.

أما فقراء المدينة.. في قاع المدينة.. تنال منهم الألسنة وتظلمهم القوة المتجبرة.. تخنقهم.. تدفعهم للأسفل حيث الظلام والفزع الأكبر..

إلى الحريق يا واحتي، يا مرعاي الفاني يا شمسي الغاربة يا قمري الغافل.. عذرًا قد صدمت فيك يا أم الأرض يا حبي الأكبر.

أنسيتني مبادئي وتركتني تجول فيّ الأفكار وتتعارك الشياطين مع الملائكة، وتتداعى مثلي كما تتداعى ذكرياتك أمامي كشريط قديم مزقته أياد عابثة.

فإلى اللقاء يا أرضي المترنحة.. ويا ليت حين نلتقي نكون في عالم انتهت منه الشياطين وملّته وتركته ورحلت عنه، حتى وإن كنتِ حينها أرضًا قاحلة؛ سأرضى بك وأقنع.

* * *

أغنية للحب

بقلم: عبد الرحمن محمد السعيد

وجوهنا مُغبّرة كأنما سماء الأدخنة والبارود احتكّت بنا، كشيء حزين يتداعى أخيرًا، كانت البيوت مهدّمة، والعمائر تثاقل انتصابها فتساقطت، والشوارعُ تنزف الفوضى، مشينا قليلاً، بعض الحرائق لم تغلق أعينها بعد، تتراقص ألسنة اللهب من خلف منزلٍ مُدمّر.. حتّى الأضرحة كانت قد تفتت.

كنا نترنّح، وكانت هي مملوءة بالأضواء المتلألئة والمصابيح، حتى أننا كنا نراها هكذا من بعيد، بتكوين عاجي أبيض، بـ ليلٍ مُتهدّل، منساب وبنّي، يمكننا أن نشاهد فيه المسافرين يبتعدون..

قدناها إلى الطريق الذي يحلم الأطفال أنه يتكلّم، في البداية قاومتنا، لكننا تمسكنا بها جيدًا، وحملناها فوق أكتافنا كتمثال لربة قديمة، كانت متسعة الأنحاء، يمكنها أن تستقبل الصبية التائهين، والشعراء العجائز، والمحاربين الذين لم يبكوا إلا متأخرًا.

كانت مفتوحة لليل، وللصباح والمساء، والمواعيد القديمة.

بدأت تنتفض فوق أكتافنا لكننا أطبقنا قبضتنا عليها، تبدو لنا الآن أكثر بياضًا كأنما الرخام يبدأ في التعرّف علينا.

نقاوم جروحنا الجسدية، ونوغل في التقدم، نهتزّ بينما نبتعد عن الجثثِ المترامية، والأطرافِ

المبتورة.

تفاجئني الدماء التي تسيل مني على الأرض، نسرع الخطى إلى النهر، عبر الطرائق المتحطمة، نجابه النوم الذي بدأ ينتابنا الآن، وينحني أحدنا ليحمل جثة رجل مسجاة، ويمددها بجانب جدار ناله العطب جراء القصف.

تمدُ الأدخنة رؤوسها لتراقبنا بينما نسير.

وتشد هي ذراعها الذي أمسك به فأعاود التشبث، يسقط وشاحها لتنفرط قطعٌ من ليلها البني المُتهدّل على وجهي، أخشى أن يغلبني النعاس فيه فأبعده سريعًا.

هيئتها متماسكة كمنازلٍ بيضاء متراصة نراها من علٍ، كطريق يمكنه أن يستقبل الملوك جميلي الخلقة بـ أحلامهم التي تحفَ الأرض.

كان الليل يشهق الآن شهقته الأولى، أنزلناها على التراب بينما تدفع بساقيها في وجوهنا، تحاول أن تنفك منّا لكننا نعاود جذبها إلينا، تصيح فينا بكلماتٍ عدّة، لم نعد نفهم منها شيئا الآن.

نتبادل النظرات ونسرع في دحرجتها تجاه المياه.

أشدها إليّ لوهلة أخيرة، أنظر في عينيهَا مباشرة، بينما أتمسك بكتفيها، رموشها الآن كحدائق سوداء ملتفة.

نبدأ جميعًا في التأكد، كلما رأيناها تعاود قلوبنا الخفقان، لثوانٍ، بعد أن توقفت من قبل.

تسقط ذراع أحدنا على الأرض، أهبط لالتقاطها

وإعادتها إليه، ينبثق منه المزيد من الدماء ويتمتم بلغةٍ لا أجدني أفهمها الآن.

ننظر لبعضنا بهلع ونجذبها فتتناثر المزيد من الخصلات البنية.

نتصايح فلا نفهم ما نقوله، كأنما القصف قد نال الكلمات في أفواهنا، ندفع بها إلى النهر فتسقط صارخة..

نظل واقفين، نرقبها وهي تضرب الماء بذراعيها، ردائها الأسود كشارع مرصوف، يطفو الآن على السطح.

النيران كانت تضيء لنا صفحة الماء، نرى بشكل أوضح المنشآت المتداعية المنعكسة، تذوب مع الجسد الأبيض الذي بدأ يهبط الآن تدريجيًا إلى القاع.

نستسلم لنومنا الذي كان في البدء.. أغلق وعيي على أضواء متلألئة ومصابيح تخفت مع الغارقة.

لكنني أجد من يهزني ثانية، لننظر ورائنا ونجد اللافتة الهائلة ترحب بنا فيها.

نفرك النوم بأصابعنا وننهض، نسير عائدين إلى الطريق الأسود، المرصوف، كنا نترنح، وكانت هي مملوءة بالأضواء المتلألئة والمصابيح، حتى أننا كنا نراها هكذا من بعيد، بتكوين عاجي أبيض، والليل الذي صار الآن متهدلاً، بطيبة، منساب وبنّي، يمكننا أن نشاهد فيه المسافرين يبتعدون.

بينما نقترب منها تدريجيًا، ندرك كم هي متسعة

الأنحاء، يمكنها أن تستقبل الصبية التائهين، والشعراء العجائز، والمحاربين الذين لم يبكوا إلا متأخرًا.

كانت مفتوحة لليل، وللصباح والمساء، والمواعيد القديمة. تبدو لافتة الترحيب الآن بلغة نعاود فهمها ثانية.

ومن بعيد ندرك أننا لا نرى من الملامح السابقة شيئًا، الشوارع تجفف نزيفها الرصاصي بالسحب.

من بعيد نجدها متماسكة كمنازل بيضاء متراصة نراها من علٍ.

يسقط وشاح الأدخنة عنها لتنفرط قطع من ليلها البني المتهدّل على وجوهنا، ونبتعد سريعًا إلى أن نصل إلى الأضرحة التي صارت جديدة الآن.

نرفع أحلامنا التي تحفّ الأرض ونجلس ليغلبنا النعاس.

* * *

جنيه واحد

بقلم: عمرو عز الدين كامل

ما إن اقتربت سيارته من الموقف، حتى هرع نحوها عشرات الأشخاص؛ من كل حدبٍ و صوب، و قد تعالى صياحهم؛ يتساءلون عن وجهته التى سيتخذها في دورته الجديدة..

إنه (ربيع).. أحد سائقي "المكيروباص" في (الإسكندرية).. (المشروع) كما يطلقون عليه..

لكنه بدا و كأنه لم يلحظ وقوف كل هؤلاء.. حيث قفز خارج سيارته و أغلق أبوابها، متجهًا نحو كشك القهوة الصغير، تطارده النظرات الغاضبة المغلوبة على أمرها من الركاب.. ثم تناهى إلى مسامعه بعض السباب الذى خرج من فيْ أحدهم؛ الذى لم يجد سوى السباب ليعبر به عن سخطه.. لكنه تجاهل ذلك تمامًا.. هذه الأمور أصبحت من متاعب المهنة.. لا يستحق أن يلتفت كل خمس دقائق إلى تطاولات تلك الحشرات المزعجة المسماة بالركاب..

"واحد شاى تقيل يا (حمّو)"..

قالها (ربيع) و قد جلس بجوار الكشك الصغير، في حين هرع (حمّو) الشاب الذى يدير ذلك الكشك ليُعِدَّ كوب الشاي، بينما أخرج (ربيع) علبة سجائره المصرية الرخيصة ليسحب منها سيجارة، سرعان ما بدأت تفقد حياتها احتراقًا بين شفتيه..

نظرة على وجه (ربيع) تدلك على الكثير.. فهو

يبدو ضيق الصدر.. مقطّبًا جبينه في تنمر دائم و كأنه على وشك الدخول في معركةٍ ما.. نامي اللحية.. ملابسه تنم عن لا ذوق من الأساس.. شفتاه تحملان أثر السجائر التى ماتت عليها منذ أن بدأ يدخن..

أخذ يراقب حركة الموقف و هو يحتسي الشاي الثقيل المرّ الذي اعتاد عليه بصوت يثير الاشمئزاز، يمكنك سماعه من آخر العالم.. بينما كان عقله يهدر بالأفكار.. يهدر بالمشكلات.. يهدر بمحاولة البحث عن حلول.. و في خلفية أفكاره كانت أصوات السيارات، و صخب البشر، و صراخ المحمومين للركوب في سباق كتل اللحم البشرية؛ للحصول على مقعد في السيارة، و كأنها مجلس الشعب..

و مع أنفاس سيجارته كان لا يزال يفكر..

ما زالت هناك أقساط لم يسددها من ثمن سيارته.. الأقساط كثيرة، و صاحب المال لا يرحم..

(فاتن) تخبره أن أبيها سيوافق على أول متسول يطرق بابهم.. فلم يعد لدى أبوها صبرًا كى ينتظر المحروس الذى قد لا يأتي..

رمى ببقية السيجارة التي انتهى دورها في الحياة؛ بامتزاج روحها بأنفاسه التى صارت كريهة..

ثم هدأت حركة الركاب في الموقف.. و أدرك بخبرته أن وقت العمل قد حان..

نهض بعد أن نقد (حمّو) ثمن كوب الشاي.. واتجه نحو سيارته و هو يبدأ في إزهاق روح سيجارة جديدة آملاً في دورة جديدة يملأ بها جيبه،

ليسد بها متطلباته..

لذلك بدأ بأنفاس ملوثة بالدخان ينادى على الركاب..

العجيب أن الركاب كانوا منذ دقائق معدودة يملأون المكان.. السؤال الأبدى.. لماذا لم يسمح لهم بالركوب وقتها؟

لماذا يقف الآن، لا يجد سوى راكب أو اثنين فقط؟.. و يبحث عن المزيد..

لكن تلك الأسئلة ستظل قائمة أبد الدهر؛ حتى يأتي العالم النفسي النابغة، الذي سيكتشف يومًا ما نفسية أولئك السائقين غريبي الأطوار..

و أخذت السيارة تمتلئ على مهل..

كلما مرت دقائق يأتي راكب يُمَنّي نفسه بمواصلة ترسله إلى بيته؛ ليرتاح سواء من عملٍ مرهق أو دراسة مزعجة أو سفر طويل.. ليجد سيارة (ربيع) في انتظاره، فيركب على الفور..

و كان الوقت مساءً.. الساعة قد تجاوزت العاشرة ببضع دقائق..

(ربيع) ما زال ينادي على الركاب.. و هم ما زالوا يتوافدون..

حتى امتلأت السيارة عن آخرها؛ ما عدا المقعد الأماميّ المجاور له.. كان يحب دومًا أن يترك ذلك المقعد خاليًا حتى لا يزعجه واحد من هؤلاء بالكلام و تبادل الحوار طوال الطريق.. و بالفعل كان سيبدأ التحرك.. لولا أن أتت تلك السيدة..

عجوز محنيّة الظهر تتشح بالسواد، رسم الدهر خطوطًا قاسية على وجهها لا يبدو أنها ستُمحَى أبدًا؛ مع تقطيبة جبينها التى يبدو فيها همًا شديدًا..

كانت تحمل لفافة صغيرة من الورق تقبض عليها بحرص شديد.. و طلبت الركوب من (ربيع) الذى كان يبدو عليه أنه سيرفض طلبها، لكنه تراجع عن ذلك حينما علم أنها ستغادر السيارة في منتصف المسافة، و هذا كان يعني أن يأتي راكب آخر مكانها بعد نزولها.. فزيادة في المال.. و...

سرعان ما كان يغادر الموقف بسيارته يسابق بها الصوت و الضوء و قد استقرت العجوز بجواره في صمت..

" كام الأجرة يا بني؟ "

خرج هذا التساؤل من فم العجوز بصوت ضعيف واهن، فأجابها دخان السيجارة- الذى اندفع من خارج فمه قبل أن يجيبها :

- جنيه يا حاجة..

لم يلحظ مفاجأتها بهذا الرقم، و التى بدت واضحة على وجهها بشدة مع تلك الشهقة غير المسموعة بوضوح، قبل أن تسأله مجددًا :

- ليه يا بنى؟ هى مش نص جنيه بس؟

كان (ربيع) قد اعتاد تلك الأسئلة المتكررة التى تستنكر و ترفض الأجرة التى قام بزيادة قيمتها من نفسه، لذلك زفر في ضيق و بدا صوته غاضبًا و هو يجيبها :

- أنا ماشي في طريق فاضي.. بعيد عن الزحمة.. هأوصلك بيتك بدري ربع ساعة..

تواصل اندفاع الدخان من فمه و هو يكمل :

- بعدين أنا مضربتش حد على إيده عشان يركب معايا..

انكمشت العجوز في مقعدها، قائلة بخفوت :

- طيب يا بني براحتك.. كنت باسأل بس..

ثم مدّت يدها بانعدام حيلة إلى جيب ردائها، و أخرجتها ممسكة بجنيه واحد تطلعت فيه للحظة، ثم ناولته إلى (ربيع)، الذى أخذه دون أن يحوّل ناظريه عن الطريق، و ضمه إلى حفنة النقود التي بين يديه..

ثم مضى في طريقه منهيًا السيجارة تلو الأخرى، متبادلاً السباب مع السائقين من حوله..

كل هذا قبل أن تصل السيارة إلى طريق يعترض طريقه عرضيًا، فالتفت إلى يمينه لمراقبة سير السيارات..

فوقعت عيناه على المرأة العجوز..

أو بالأدق..

على دموعها..

كانت العجوز تبكي في صمت..

دموعها تغرق وجهها و تبلل رداءها..

فخفق قلبه في قوة..

ربما لأول مرة منذ سنوات طويلة يشعر (ربيع)

بقلبه يخفق..

لأول مرة يحس بمشاعر مختلفة عن مشاعر اللامبالاة و البرود..

لأول مرة يشعر بالشفقة..

كل هذا دفعه كي يسألها بصوت خفيض يفيض بالقلق، يختلف تمام الاختلاف عن ذلك الصوت الأجشّ الذي تكلم به معها منذ قليل :

- مالك يا حاجة؟

انتفضت العجوز و كأنه صرخ في وجهها، ومدت يدها تمسح دموعها بسرعة، في حين تشبثت يدها الأخرى باللفافة الورقية بقوة، قبل أن تقول بصوت مختنق من البكاء :

- مفيش يا بنى.. شوف طريقك..

راقب (ربيع) الطريق، لكن قلقه قد تزايد فعاود سؤالها :

- أشوف طريقي إزاي بقى؟ كل الدموع دى وراها حاجَه.. قوليلي في إيه؟ يمكن أقدر أساعدك..

ترددت العجوز مرة أخرى، فسارع (ربيع) يقول ليزيل ترددها :

- اعتبريني زى ابنك..

تنهدت في استسلام و ازداد تشبثها باللفافة، قبل أن تقول :

- حاضر يا بني..

ثم استدركت و هي ترفع إصبعها الواهن

المرتجف :

- بس خليك فاكر يا بني.. إنت اللي طلبت مني أتكلم..

تنهدت مرة ثانية، قبل أن تقول :

- الحكاية كلها حكاية الجنيه..

شحذ (ربيع) انتباهه و هى تكمل :

- أنا كنت فاكرة إن الأجرة نص جنيه بس زي كل مرة.. و كنت عامله حسابي إني أجيب بباقي الجنيه اللى معايا عيش لولادي عشان العشا.. بس راح كله في المواصلات.. و مش عارفة أعمل إيه؟.. و لو المسافة لحد البيت كانت قصيرة، أنا كنت مشيتها و وفرت الجنيه كله..

عاد قلب (ربيع) يخفق مرة أخرى تأثرًا، قبل أن يقول بنفس الصوت الخفيض :

- يااااه.. طب ليه بقى الدموع دي كلها.. لما توصلي البيت، يبقى ابعتي حد من ولادك بفلوس تانية يشتري بيها العيش.. الدنيا ماطارتش يا حاجة..

ابتسمت العجوز في مرارة، ورمقته بنظرة جانبية قابضة على اللفافة.. قبل أن تقول بنفس المرارة التي تحملها ابتسامتها :

- و مين قالك إن البيت فيه فلوس تانية؟

قبضت يدا (ربيع) على مقود سيارته في عنف.. اعتصرت معها قبضة وهمية ثلجية قلبه الذى غطاه الصدأ..

أحس بألم شديد يغزو روحه الغائبة..

كأن هناك من صب فوق رأسه دلوًا ممتلئًا بحمم ملتهبة..

أحقًا؟

أحقًا لا تملك تلك المرأة سوى هذا الجنيه؟!

أهناك أناس لا يجدون قوت يومهم؟!

أحقًا هو بهذه القسوة؟!

إنه لم يكن بتلك القسوة في الماضى..

فلماذا تغير بهذا الشكل؟

كيف عمى بصره و ماتت بصيرته إلى هذا الحد؟

كيف أحاط به الطمع و الجشع و الرغبة الملحة في جمع المال، فأخفوا عنه الحقائق، و منعوا الرضا و حمد الله والرحمة من التسلل إلى قلبه و لو لمرة واحدة؟

كيف سمح لنفسه بأخذ أكثر من حقه؟ حتى لو كان هذا ليفي بالتزامات أخرى..

ألا يدري بذلك أنه قد يحرم أطفالاً من عشائهم؟

أو ربما حرم مريضًا من تناول دوائه.. أو محتاجًا من إعانته..

كيف لم يفطن لكل هذا؟

تلك المرأة هى رسالة الله له..

رسالة تحذيرية إليه.. كي لا يتمادى في جشعه.. و لا يتوسع في ظلمه..

رسالة كي يعود إلى ما كان عليه..

رسالة كي تعود الابتسامة على شفتيه.. و تعود الرحمة إلى قلبه..

رسالة تذكره أن الرزق مكتوب..

مهما تحايل أو التف.. لن ينال إلا ما هو حقه.. لا زيادة و لا نقصان..

لن ينال إلا ما كتبه الله له..

الرسالة التى لابد أن يفهمها.. و تستقر معانيها في وجدانه.. و ينتعش لها ضميره الذي اشتاق له حقًا..

و دونما تردد.. كأنه يكفر عما اقترفته يداه.. سحب من حفنة النقود التي بين يديه ورقة مالية ذات قيمة مرتفعة، و مد يده بها إلى العجوز قائلاً :

- خدي يا حاجة.. هاتي اللي انتي عاوزاه..

نظرت له العجوز باستنكار شديد، و أزاحت يده في كبرياء أصيل و هي تقول بصوت صارم رغم وهنه :

- لا يا بني.. أنا مش بأحكيلك عشان تدينى صدقة.. بعدين ده حقك.. و إنت أولى بيه..

إلا أن (ربيع) لم يرجع يديه إلى جواره، قائلاً بإصرار :

- لا هو حقي و لا أنا أولى بيه.. ده حق ولادك اللى كانوا هايتحرموا من عشاهم بسببي..

ثم زفر في مرارة مكملاً :

- أنا اللي زودت الأجرة.. و نسيت إن الرزق بإيد ربنا.. نسيت إن الفلوس الحرام بتضيع و مايفضلش منها غير الحلال.. عشان كده أنا لازم أرجع زى ما كنت.. لازم أتوب يا حاجة.. و المرة دي أنا اللي عاوزك تساعديني بدل ما تزودي إحساسي بالذنب .

ترددت العجوز، و قد عادت الدموع تترقرق في مقلتيها، فأسرع (ربيع) يردف :

- عشان خاطري يا حاجة..

مدت العجوز يدها و هي لا تزال مترددة، ثم التقطت الورقة المالية، معها سالت دمعتان صامتتان.. قبل أن تقول :

- ربنا يهديك يا بني.. مش عارفة أشكرك إزاي..

ابتسم (ربيع) و هو لا يزال يراقب الطريق الذى يمتد أمامه كأنه بلا نهاية :

- بلاش تشكريني يا حاجة.. أنا عاوزك تدعيلي.. ادعي إن ربنا يوفقني للخير دايمًا و يبعدني عن المال الحرام..

قالت العجوز بطيبة و إحساس صادق :

- ربنا يهديك يا بني.. و يرزقك من أحسن الأبواب..

و حين غادرت العجوز السيارة بعد فترة، عاودت شكرها لـ(ربيع)، الذي ابتسم في وجهها ابتسامة صافية وهو يودعها..

ثم انطلق في طريقه و هو يفكر مرة أخرى..

* * *

هدأت حركة الركاب في الموقف.. و أدرك بخبرته أن وقت العمل قد حان..

نهض بعد أن نقد (حمو) ثمن كوب الشاى الثقيل متجهًا إلى سيارته لينادي على الركاب..

لكنه لم يكن يزهق روح السجائر هذه المرة..

كان حليق الوجه.. تشع من وجهه حيوية شديدة أحس بها زملاؤه في المهنة و استغربوا لها كثيرًا..

أخذ الركاب يتوافدون على السيارة..

السيارة تمتلئ بهم رويدًا..

حتى امتلأت عن آخرها ما عدا المقعد الأمامى المجاور له..

كاد بالفعل أن ينطلق بالسيارة، غض النظر عن ذلك المقعد..

لولا أن أتى ذلك العجوز..

و سرعان ما كانت السيارة تغادر الموقف تسابق الريح؛ و قد استقر العجوز بجوار (ربيع) في صمت..

" كام الأجرة يا بني؟ "

تصاعد هذا التساؤل بصوت واهن من جواره، فخفق قلب (ربيع)، و ندت عنه ضحكة قصيرة قبل أن يقول دون أن يحول ناظريه عن الطريق :

- نص جنيه بس يا والدى..

اتسعت عينا العجوز دهشة من قيمة الأجرة التي انخفضت بغتة، على حين ابتسم (ربيع) مجددًا..

و أخذت ابتسامته تتسع رويدًا رويدًا..

بينما أخذت السيارة تمضي في طريقها و تتوغل فيه؛ في صمت بليغ..

* * *

الأشــعار

وصايا الحكيم

بقلم: مصطفى يحيى

يقول حكيمُ البـلاطِ:
لا تجادل يا أميرُ
لا تجـادلْ.
إن رأيت الشعب يحبو..
تحت طغيان المعاول
فارسل الأصفاد كرهـًا
ثم أورثْهُ المعاقـل
دعْ لسان القوم يهجو
ثم اعدم كل قائل.
لا ينلْ شرفـًا رفيعـًا في الحيـاةِ
غيرُ طاغٍ أو مـجامل
لا تجادل.
أنتَ قدريّ الإرادةِ كل من عاداك جاهل
إن رأيت القتل حلاً..
فقرارُ القتل عادل.
أو رأيت الصمتَ نهجـًا
فاتبع الصمت المناضل.
واقتل الأحلام حتـى..
تصبح الأحلامُ كابوسـًا تطاول.
أعطِ أمرًا..

ثم بالسوطِ العظيمِ متابعٌ حتى المفاصل
أنت أنسانٌ حكيمٌ..
فارسل اللعنات وارفقها بأجنادٍ تقاتل.
أنت حقٌ لا جدالٌ..
كل من عاداك باطل..
لا تجادل.

* * *

يا أميرُ
لا تجادل.
مبعث الأقوال علـمٌ..
أنت في كل الأحوال جـاهل.
لا تجادل.
إن رأيت الغرب يطلب رأس أطفالٍ يتامى.
فارسل الطلبات مرفقة بإهداءٍ مجـامل.
وافتح الطرقات دربًا للعساكر
واشجب الإرهاب في كل المحافل.
لا ينل شرفا رفيعـًا في الحياةِ
غيرُ إنسانٍ وضيـع
أو بقايا جُنـدي سافل.
فاعدم الإعلام شنقـًا..
كي تنال الحب كامـل
أنت إنسانٌ عظيـمٌ..
فابعث التهنئة حـبًا
حين يخبرك الوزيـر..
أن توليت الإمارةَ

والمقابـل
بعض أرواح رخيصة..
من ملايين لديك..
إنه شــرعُ القبائــل
وهو قربانٌ بسيـطٌ..
في المقابل.

* * *

مسرحية غير كوميدية

بقلم: شادى محمد عبد العزيز

بداية الحكاية..

مرسومة عالوشوش توهة

تايهين في الدنيا ديا

تايهين من يوم ما جوها

والتوهة اللي اختارتهم

ولا هما اختاروها؟

سؤال محتاج إجابة

واسمع باقي الحكاية

هتحكم في القضية

هل هما ناس غلابة

ولا مالهمش دية

* * *

تايهين في صحرا صفرا

وصفارها لون وشوشهم

ماشيين والشمس حامية

ومفيش غير ضل خوفهم

ومصيرهم في اتفاقهم

عشان يكون رجوعهم

فكر.. دقق.. هتحكم

مين اللي اختار توهتهم
سواق تاه عن طريقه
ولا المذنب سكوتهم
ولا المسئول خلافهم
وفرقة جرحت ضميرهم
هنشوف إيه كان مصيرهم
في آخر المسرحية

* * *

وفي وقت المغربية
ويا الضلمة اللي جاية
يتجسد خوف قلوبهم
عفريت.. وببندقية
قاتل.. قاطع طريق
وكمان مجنون شوية
وعدهم بالطريق
والأجرة مش شوية
طالب يختاروا واحد
منهم يكون ضحية
شطار.. سمعوا الكلام
وباعوا الدم.. مية
واستنوا الجني ييجي

ويقول السكة أهي

لكن طال انتظارهم

لنهاية المسرحية

* * *

وينزل الستار

على ضحك ناس كتار

يا اللي ضحكت خاف

عقوبة الاختلاف

ولو هتعيش جبان

يبقى.. هتموت ضحية

* * *

عصفُ الذاكرة

بقلم: محمد حرب نايف القواسمي
المملكة الأردنية الهاشمية

الريح تعصف في الأجساد
الدهر يشد وثاقه.. ويمضي
إلى أقصى البلاد
وتموت وردتك الأخيرة
وتمضي بلا ظهر نراه
بلا دخان.. بلا رماد
وأتوه بحثا عنك في المرايا
في الكتب القديمة..
في جوارير الغيب المظلمة..
واتوه بحثا عني..
في مقاهي الليل.. في الحانات
تحت أغطية السواد

* * *

يشد المطر من صوت الرصاص
والدم فاض على الطريق..
هي ذاكرتي وأحملها.
على أكف الغيب..
على أكف كل منجم

على أكف العفاريت..
وأرمي بها شيئًا وراني
شيئًا أمامي..
وشيئًا إليك
وشيئًا ضئيلاً يبقى
تذاكر للسفر

* * *

وهناك عمري يحفر البئر العميق
وهناك ظلي يقبر الزمن الرقيق
وهناك حيث هناك لا شيء.
شيء من خيالك..
وآخر من جمالك..
وبعض أجزاء الشفاه
وخصلة شقراء من شعر
وأوراق ممزقة..
وأقلام معذبة..
وبعض أحلامي هناك
تفترش الطريق

* * *

غيم يمطر النهر بكاء
في سكون
الحب عاطفة تجول بخاطري
وتهون

رفقًا بإحساسي أيها الليل

رفقًا بأشياني

رفقًا بأحلامي

رفقًا بأشلائي

أيها الليل الأجل،

رعد يمزق وحشتي

برق يشتت مضجعي

في رحلة البحث عن وطني

في رحلة البحث عن أخرى

تحل مكان الشمس،

مكانك

هي أفكاري، وشيء من جنون

وشيء من جنون

* * *

لن يقف مرة أخرى هذا القطار

أيام.. وأعوام،

وبعض انتظار

ورحلة البحث طويلة،

كشعرك قبل شنقه

أرواح تلاحقني.. في ذكرياتي

آهات ترددها الحروف

شيء منك أراه في أقصى الطريق

سراب أنت،

كذبة أنت،

شيء من حنيني،

أقلام انتحار

أفكار،

قرطاس يبكي شجنا

هي رحلة بحث في الكلمات

عن سطر هو أنت

عن حرف فيه تكونين..

* * *

رحلة البحث طويلة

كشعرك قبيل النسف

فيها امرؤ القيس

عنترة

آلف عانسة تجول

طوابير أرامل،

شهريار يذبح الديك

بلقيس تسلقه،

وأراك

رحلة البحث طويلة،

كخيط الصبر في صدري

تراني أجدك في مرفأ؟

في قصص العشق؟

في بقايا أشباح الليل؟

ترانى أجدك أخيرا،

على شرفة بيتي؟؟

رحلة البحث طويلة جدا

كحزن

* * *

أتجاوز الأسوار

بقلم: عمر هشام عبد الشافي

وحدي أنا..
في جوف قوقعتي الفريدة
أزوي إلى ركن ركين من أزقتها
أتجاوز الأسوار بحثا عن سنا نفسي
عن صورةٍ شفافةٍ..
أشذاء عطر..
آمال طفل أن يكون ذا يوم طبيبا
عن كل أحلام السلام
عن ذكرى سعيدة
أتجاوز الأسوار أجتاز الزمان
في كل يوم كنت إنسانًا جديدًا
بالأمس كنت منافقًا..
واليوم أصدقـكم..
غدًا.. لا تعلمون ما سأكونه
لا فرق بين تجارب الألوان
بيضاء كالبداية
سوداء كالمصير
أم خليط الاثنين
لوحاتنا..
كانت وسوف تظل..
معركةً

لا غالبَ فيها ولا مغلوب
لا قائدَ قد ذاق طعم الانتصار..
وحدي أنا
أتجاوز الأحلام والأسوار
اليوم ألعب بالظنون أراقص الأقدار
- الموت شنقا..
أم الإعدام رميًا بالرصاص -
اليوم قد قررت الانتحار.

* * *

القصيدة التالية للراحل (علاء عبدالله)..
و لأن بدايات لم تكن "مجرد سلسلة
أخرى"، ورغم كل علامات التعجب و
الإستفهام، حول نشر عمل، انتقل صاحبه إلى
رحمة الله تعالى، فقد إرتأت دار ليلى أن العمل
الأدبي الجيد، هو حق و منفعة عامة، ما دام
ورثة المبدع قد وافقوا على نشره..
كما أن العمل لم يخالف قواعد النشر، بل هو
في صلب غرض السلسلة..
البداية.

رسالة عصيان

بقلم "الراحل": علاء عبد الله
قدمها: هشام فهمي

أبي.. إن عدت للأوطان بعد الحرب، لا تنس
ليالي الذل والحرمان، كيف قضيتها يأسا
ملأت كنوسهم نصرًا
وسقوك الضنى كأسا تلو كأسا
أبي.. في الغاب والأدغال..
تحت النار والمدفع
أبي.. أيان كنت، تدافع الأيام أو تُدفع
وتدفع من دمك ودماء الأحرار ما تدفع
تذكر كلما صليت في الفجر كيف كانت أشجار بيتنا تُقلع
ولا تنس كيف عرضوك في أسواقهم -يا ويلنا!- بخسًا
وباعوك بأرخص الأثمان، يا أبي..
في خدمة الملكة

* * *

أخي.. كلما سمعت نداءات الأطفال في الملعب
يقصون الحديث الحلو عن آبائهم، أغضب
ويسألني الرفاق: وأنت؟ ماذا عنك؟ أما لك من أب؟
فأرتشف الدمع حزنًا، وأهرب حيث لا مهرب
وإذا سألت يومًا: أين أبي؟
قالوا: في خدمة الملكة

* * *

أختي.. قد نامت ليلها الدامي، وبت أنا ألوذ

بالشهب

فلما أشرق الصباح بنوره

أتت تبكي وتدفن رأسها في صدري الخرب

وقالت: هل يتامى نحن؟ نبئني، أريد أبي

أبي..

هل كان لي يوما ومات..

في خدمة الملكة؟

* * *

أليس لنا كما للناس من هو الأب؟

لماذا لا نراه إذن؟

وأين تُراه يغترب؟

أليس يهزه الشيء الذي في قلوبنا يلتهب؟

أم أنه غيّب عنا تمامًا، وذاب كالشمع

في خدمة الملكة؟

* * *

ويأتي المساء مرة أخرى

ويبقى السؤال في جو بيتنا معلقًا

وعلى الباب يتلاشى اسم أبي كلما مر الناس عليه

ويقول هازئ منهم: أليس الأهل والأوطان بأولى من

خدمة الملكة؟

* * *

أمي.. زوجه المسكينة الحسناء يهجرها

إذا غلبت على ذل، فمن بعد الله إلاه ينصرها؟

ألم ترع له العهود؟ أم أنه -حتى- لم يعد يذكرها؟

أيجفونا ويجفوها ويقهرنا ويقهرها..
ليحمي حمى الملكة؟

* * *

ليحمي الملكة -يا ويلي!- وينسى ملكه الأكبر
وينسى حرمة الكوخ الذي آواه
وينسى الحقل الأشجار والأزهُر
يبيح الدين والدنيا..
ليحمي الملك للملكة

* * *

أشقراء؟ أسمراء؟ أأجمل تلك من أمي؟
لعل أبي تزوجها، وخان قداسة الدم
لها الشيطان.. كالأفعى، سقته الكأس بالسم
وأغوته، وأغرته، بكرم النهد والفم
أبي سلبته غانية
وقالوا: إنها الملكة

* * *

وأبكتني سذاجة حبيبتي، ولم أضحك لما قالت
وقلت لها: أبي مالت به أيامه، مالت
أبي بين العبيد، يقيم دعم دولة دالت
يرفل في الشوك يا حبيبتي..
من أجل أعين الملكة

* * *

أبي يا حبيبتي، عبد عاش مغلوبًا كما نحن
ينفذ أمرَ من ملكوه، والأغلال لا تحنو
يصب دموعه إن قيل له: غن.. وما له لحن
وحس أبي كصمت العود، يقتل روحه الحزن

بلا نفس.. بلا حس..
لأجل الملك والملكة

* * *

وقد أمروه أن يمضي وراء البحر في فيلق
يخمد ثورة قامت تفتح بابها المغلق
ذهب مقاتلاً أشاوسها الأحرار
ويطلق ناره..
قالت حبيبتي مقاطعة: وهل أطلق؟
أجل يا حبيبتي، أطلقها..
ليحمي الملك للملكة

* * *

فصاحت: سحقا لقاتلهم!
لماذا لا نؤيدهم ونحطم قيد بلوانا؟
لماذا لا نثور ونشعل الأرواح نيرانا؟
يهون العمر والدنيا.. وقلب الحر ما هانا
فما العيش إن كان ليس إلا
تحت رحمة جلالة الملكة؟

* * *

بأي مشيئة ملكوا على الإنسان دنياه؟
وقالوا: إن شرع الكون أضعفه لأقواه؟
هو الله الذي يرث الأرض كلها، وما هم بأعظم من الله
لأجل الله إن عشنا، وإن متنا
فإلى الجحيم أيتها الملكة

* * *

أجل يا حبيبتي..
ما الملكة؟ وما الملك؟ وما العرش؟
وما الشيء الذي نحمي حماه لها؟ وما الجيش؟
وما العمر الذي نفنيه عبيدًا؟ وما العيش؟
عبيد نحن إلى الآن وقد ولت أيام قريش
نذوب في لهب القيود، ونخدم الملكة

* * *

هناك.. حيث لا ماء ولا ظل ولا شجر
حيث أبي، وآلاف سواه هناك تنتحر
حيث يموت من يقضي، ولا نعش، ولا حفر
وحيث الخدعة الكبرى بأن الحق ينتصر
بلا هدف
بلا أمل
يموت الجند للملكة

* * *

أبي.. بلادنا أولى وأجدر بالذي تبذل
وأنا والأهل أحق من غيرنا بما تعمل
والأرض يا أبي أجدى بجهد الفأس والمعول
فعد.. عد للأهل والوطن.. ولنعمل
لنا.. للحق.. للأحرار
لا في خدمة الملكة

* * *

أبي.. إنا هنا جمع، عقدنا العزم فتيانا
وأقسمنا بما ذقنا من الحرمان ألوانا
بما كتمت زوايا الكوخ آلامًا وأحزانا

بإنسانية الإنسان
والله لن نحمي حمى الملكة

* * *

بما في دمعة الأيتام من ذل ومن ألم
بما في رنة القيد الرهيب
بما في قصة الماضي، من الإذلال والظلم
بما خضبت أرض الوطن المجروح بالدم
كفى من نهر الدم الذي
يصب عند قدمي الملكة

* * *

أبي.. قسما بحق الله.. بالأنهار.. بالأرض
بحق نباتها الذاوي على ينبوعها الفضي
بملأ فمي.. بملأ دمي.. بملأ النار في نبضي
تعال.. دعا الدم الغالي.. دعت أرضي
هنا ملكي وملكك، هنا حمانا
بعيدًا عن حمى الملكة

* * *

أبي.. لن نترك القيد الثقيل على أيادينا
دماؤكم التي شرب منها الطغاة تنادينا
رموكم في ظلام اليأس عبادًا مساكينا
وساقوكم وراء الهيكل المزعوم قرابينا
على محيط الدم
ضحايا الملك والملكة

* * *

أبي.. حطم قيود الذل وعد حرًا لأوطانك

لأمي عد.. لأختي عد.. لأجلي عد.. عد لجميع إخوانك
أمس الذي راح دفناه
سنجعله وقودًا من الدم، وأي قيد سنصهره
عد لنا، فاليوم الثورة الكبرى
بعثنا، لنحيا نحن أحرارًا كما كنا
و تسقط راية الملكة
و تسقط راية الملكة
و تسقط راية الملكة

* * *

ملحق الأعمال الفائزة
في المسابقة الشهرية
لـ جلسة ثقافية
برعاية دار ليلى
للنشر و التوزيع و الإعلان

الرحـــيـل

بقلم: عبير زكى

أنا سوف أغادر هذا الكون
و اسكن حيث تطل الشمس
وتشرق دافئة في الصبح
و تسطع في وجنات الأفق الراقد بعد ظلام الأمس
* * * * *
أنا سوف أعود إلى وطني
يشغلني وهمّ أرّقني
أفتح كفي و أنظر ماذا غاب بكفي عن نفسي
و أقلب تلك الصور المحفورة
في وجه جدار العمر الراحل رغمًا عن عيني
و الواثب حيث يمر الفوت
و الساكن مثل سكون الموت
و الساكت حتى حين يبوح الصمت
* * * * *
قلبتُ سطورَ التاريخِ
أبحثُ عن طيفٍ مريخيّ
طوبي أحمر ملتهبٌ
ينغرسُ بصدري مثلَ الصخرِ
و مثلَ الطينِ و مثلَ القمحِ
دعني أصرخ
* * * * *
أو مثلَ بريقِ الأشياء

لما تنفرج الظلمات
لما تنفرد الثنيات
او حين يروح الضوء يعربد حرًا ما بين الغيمات
* * * * *

ينتشر الأبيض في الفتحات
و يفتت أشلاء الوصلات
و تصير السحب المنقشعة
أشلاء فتات منتشرة
كسراب تحمله الريح
يركض ليغادر أنحائي
يترك أجوائي و سمائي
ليصير الكون بلا ألوان
فالأبيض يكتسح الأشياء
الأبيض يبتلع الأشياء
و أنا ابتلع الإغماء
* * * * *

سأغادرُ نفسي
حينَ يطلُ القمرُ العائدُ من سفرٍ
سأغادرُ حينَ يفرُ الدمعُ و يبكي القمرُ الساكنُ في
عمري
وتلوحُ كلُ الأشياءِ
رفقًا بعروقي ودمائي
تبًا لدروبٍ مغلقةٍ
سحقًا لحقوقٍ مهدرةٍ
عجبًا من صبرٍ أحرقني
وجنونٍ جنَّ فطوقني

ورحيلٍ لاحَ فأغرقني

* * * * *

وأنا أختنقُ وأحترقُ
والصبحُ شعاعٌ ينطلقُ
والفجرُ سُطورٌ تفترقُ
و القرص الأحمر يعلو يعبر يخترق
يتوسط قلب الأفق كأنه أُرسِلَ يستبق
ربي.. ربي.. ما أسرع تلك اللحظات
ما أقصر تلك الأوقات
و أنا مهموم مكدور
يحملني الحزن..
على الأسوار مع الأنوار وفي الظلمات
يرسمني حلمًا فوق الأرض وعند الأفق وفي الساحات
يجعلني ثمرًا فوق الشجر على الأغصان وفي الغابات
أتساقط دمعًا منتحرًا
يعتنق تراب الأرض رفاة
ويغيب ليصبح لا شيء
ويظل القمر بلا دمعات
....
...

* * *

إيمان .. تاريخ حب

بقلم: حسام جايل

أحببتها والعجز يملؤني
ومدائني تشتاق للرحلة
وبداخلي ظمأ يروى روعها
تأوي إليه و ما له خلة
هي من صغت لقصائدي قبل الندى
وحديثها أشجانه قبلة
لوداعها
ألف استكانة ناسك
ولوجهها الحاني
صدى القبلة
أحببت فيك براءة فكأنما
طفل أنا
تلهو به طفلة
أحببتها ورغائبي أني لها
أحببتها
لا تنكروا خطئي
وحدي أتيت لبابها
وتجلدي للشامتين أريهمُ ظمئي
وعلى دمي
قلب تباركه الظنون
ويرتوي من حلمِهِ الصدئ

خطت شفاها بسمة من جرحه
فغدا رؤى منشورة النبأ
كل الذي قالته عيناها لخوفي
هدهد قد جاء من سبأ
أنست بقربك مهجتي يا شاعري
واستدفأ القلب الغريب سلاما
هيا اقترب قد هنت لي
فأنا و أنت رواية
عشنا بها أيتاما
آن احتراق الخوف في أحلامنا
و لصمتنا
أن يستحيل غراما
أنا مذ هويتك و المدى أرجوحة
ومشاعري .. لك سجدا و قياما
يا رب أنت حسيبنا
من لي بها إلاك ..
أنت وهبتنا التهياما
أنا شاعر ضلت خطاي مقاصدي
وبنيت حلما هده آباني
ومشيت أبحث عن صداه
فلم أجد
غير اشتباك تضاؤلي و عناني
إيمان .. هل تهوين في وسامتي
أم جرأتي أم فطنتي و ذكائي ...؟
ضمي حروفك كلها

تجدينها
حربا و سيلا و ادكار مراني
أمسيت أهواها
وليس لي من مرتجى
إلا كلامك و الهوى و غباني
إيمان ..
لو تتبصرين دواخلى بدواخلى
لعرفت أني ما حدوت ركابي
عن داركم يا فتنتي
إلا و أنت
أميرتي و سنتي و كتابي
لم يبق لي شئ أرابط عنده
إلا ضياعك و شلة الأصحاب
هم باعدوني عنهم كي أقترب
وتقاربوا كي لا أخون شبابي
لي منهمُ
عتب الكريم إذا صفى
عند اللقاء وبسمة الترحاب
لي خلسة يوم الخميس نعيشها
نلهو ونأمل ثورة الأفكار
يا ليتها لا تنقضي لجمالها
ولأنها بختامها إنكاري
أنا منهم ...
جرحى ضحوك مثلهم
وفتاتنا قدسية الأطوار

حلم بأجنحة الخيال مرامنا
سفن تسبح في الفضاء العاري
يا من له بلد يسح بأرضه آماله
نحن ارتضينا جنة الأشعار
وإذا مضيت تصايحوا
بأن أنتظر
لكنني ....
في بسمتي أعذاري

* * *

كل سنة وانت.. لسه

بقلم: محمود سراج

كل سنة وانت مواطن
لسه بيتك فى المساكن
لسه آيل للسقوط
لسه فاضي
لسه ساكن
لسه برضه كل عام
يشبه الماضي تمام
باب مخلع
بس عينه
قاتله جواك الكلام
تور في ساقية
لسه باقية
وحسابات..
وازاي؟
وكام؟
لسه مش شايف مصيرك
لسه مش عارف تنام
لسه بيتنا هو بيتكوا
والحراسة مشددة
لسه مسروق زرع غيطكوا

بين صحاب وبين عِدا
لسه مليون ألف لسه
وانت برضه مُصبِر تنسى
كل سنة وعمار يا بيت
لسه ساكن فيك عبيط

* * *

إنسان

بقلم: محمد أحمد مصطفى

أكياس القمامة المتراكمة بطريقة عشوائية، بالإضافة إلي ذلك الضوء الخافت المتسلل من عمود الإنارة المتهالك، جعلا من ذلك المشهد لوحة سريالية كئيبة لولا تلك القطط الصغيرة التي أضافت حركة للمكان و...

لم تكن وحدها تتحرك، لقد كان هناك شيء آخر، لقد كان هو..

هو الذي لم يلعب أي دور في فيلم الحياة الدائم العرض، لم يظهر في أي (كادر) قط، ولم يبعث له أحدهم بتذكرةٍ لحضوره!..

شعره الممـوج الطويل، ولحيته المطلقة المتسخة، الذباب الذي أصبح جزءًا من وجهه، جلده الخشن المتشقق والذي يصلح كمادة دسمة لطلبة الأمراض الجلدية والأكزيما، ساقه العارية التي اختلط سواد شعرها الكث بسواد الغبار المعلق بها، وأظافره التي تشبه مخالب القطط، كل ذلك كان أبرز ما به من ملامح، وجلبابه الممزق هذا لا أدري من أين حصل عليه؟! يبدو أن أصحاب القلوب الرحيمة قد فطنوا إلي حاجته الماسة إلي جلباب! أو ربما عثر عليه وهو يبحث عن طعامه وسط النفايات!

لا أحد يعيَ وجوده، لا أهل ولا مأوي، لم تحتضنه سوي قاذورات البشر! والقطط الصغيرة

التي لم تمانع أن يكونا أصدقاء.. يمرحان.. يلعبان.. وعندما تئنّ بطنه جوعًا يتشاكسان على فتات الطعام!!

إن ماضيه وحاضره لا يقلان سوادًا عن أكياس القمامة المتراكمة، ورائحة العفن المنتشرة بالمكان لا تبشر بمستقبل مشرق أبدًا..

* * *

قطع صوت أذان الفجر الصمت السائد، انتفض من مرقده فجأة، لم يكن يعي كلمات المؤذن ولا يعرف للصلاة معنى! ولكن الأضواء الجديدة المبهرة هي التي دفعته ليتجه صوب المسجد!..

اندفع في نشوة ناحية (خرطوم المياه) بالمَيْضأة.. أمسك به بابتسامة بلهاء وهو يقذف بالمياه على وجهه وقدمه وجلبابه القذر بسعادة منقطعة النظير، لقد كان قلبه بريئًا كالقطط، حتى عقله لم يختلف كثيرًا عنها، فالعضو الذي يهمل يضمر.. إنه النقاء والطهارة الوحيدتان في عالم من القاذورات والأوساخ التي يعيش بداخلها!..

أخذ يغني بكلمات وألحان غير مفهومة من وحي اللا وحي وتفكير اللا تفكير.. فقط يغني لأن بقايا الإنسان المصري بداخله أوحت إليه أنه لابد أن يغني في هذا المكان!

استمر غناؤه الغريب، ذلك الأمر الذي أزعج خادم المسجد فأسرع إليه ليوبخه، فكيف له أن يدخل

بهذا المظهر المسجد ويُغنّي أيضًا!! دفعه بيده في اشمئزاز ليطرده خارج المكان!..

إثر هذا الضجيج؛ أتي شيخ المسجد بلحيته البيضاء ووجهه الصبوح وثوبه الناصع البياض ليعاتب خادم المسجد علي هذا التصرف القاسي..

-"دا مجنون ونجس يا سيدنا!!"

-"اتق الله يا أخي! دا إنسان برضه، لمّا يرجع ادخله واعطه من أموال الزكاة.. فاهم؟"

خرج من المسجد، لم يكترث بالإهانة، فهو لم يذق طعمًا للكرامة وعزة النفس كي يستشعر مرارة الإهانة!

وفي طريقه لمكانه الدائم أخذ يجر وراءه ثوبه الممزق، بينما تتساقط منه قطرات المياة الممزوجة بالعفن والطين!..

* * *

عيونٌ تتبعه من بعيد وسط الظلام.. انتظر!.. لأول مرة تجد من يتبعه!!.. اندفعوا تجاهه بخطوات سريعة واثقة، لم يجدوا صعوبة كي يأخذوه للسيارة الفخمة بهدوء..

لم يكترث بشيء سوي تلك اللحظات التاريخية التي يقضيها بذلك المكان الغريب المتحرك والذي سيضيف لخبراته الكثير!

سرعان ما انتقلت السيارة إلي مبني ضخم.. الجدران بيضاء وأرضية لامعة، وجوهٌ علي كل شاكلة كانت في انتظاره.. منها المشمئز، والخائف،

والقلـق والواثـق، وفجـأة.. أصـبح مُهمًـا!.. عفـوًا.. إنسانًا مُهمًّا!

* * *

مـر شـهر.. لقـد كـان مكانــه وسـط القـاذورات محفوظـا كمـا هـو بانتظـاره، وقـد عـاد... أيـامٌ قليلـة ويكتـسب جلبابـه الأبـيض الجديـد لونـه الرمـادي المتسخ، لابد أن أصحاب القلوب الرحيمة قد فطنوا إلـي حاجتـه لجلبـاب!.. أسـند رأسـه جانبًـا، أغمـض عينيـه، لـم يكـن لـيعلم التغييـرات الفسيولوجية التـي طـرأت لجـسده، ومـن أيـن يعلـم أنهـم قـد انتزعـوا كُليَته؟!، هو لم يدرك أصلاً معني كُلية.. لم يدرك شيئًا طيلة حياته.. شيئًا واحدًا فقط يشعر به الآن، أن هناك من اهتم به... أنه ما يزال إنسانًا!

ابتسم في رضا..

ونام!..

إن ماضيه وحاضره لا يقلان سوادًا عن أكياس القمامة المتراكمة ورائحة العفن المنتشرة في المكان لا تبشر بمستقبلٍ مشرق أبدًا!!..

* * *

عيد للعب

بقلم: سلمى صلاح

قالت: "لنجعل كل يوم عيدًا للحياة"

قلت: "ولما لا؟"

لذا ذهبنا للعب بين ألوان قوس قزح.

كانت تحب اللعب في صمت، وطلبت ذلك مني مرات عديدة.. لكني عددت ألوان القوس خلسة، وعندما وجدتهم ستة ألوان فقط استشط غضبًا..

لكم أكره أن أغش في شيء تافه كقوس قزح.

ترددت في أن أصارحها بينما هي منهمكة في اللعب.. وكنت أخشى رد فعلها، فهي دائمًا ما تأتي بتلك الأفعال غير المعتادة.. ربما تصرخ في وجهي أو تبكي بنواحها الذي يشبه المواء.

قررت ألا أصارحها بل أحاول لفت نظرها. بدأت في إعادة العدّ بصوت يعلو تدريجيًا حتى تلاحظني فتهتم، ولكن كل مرة كنت أعيد فيها العدّ كانت تزيد من غضبي وتشعرني كم مغفل كنت عندما وافقت على الحضور..

وهي.. هي فقط لا تهتم.

قطة صماء تلعب بين الألوان، هي تحب تشبيهها بالقطة وتعلم كم أكره القطط، لكنها.. لا تهتم.

تتزحلق بين الألوان ويتبادلون البريق -هي والألوان- بينما أنا أبدو كالحًا مصرًا على الاستمرار

في العدّ بصوت يعلو ككونشرتو ذائع الصيت، لكنها..

حسنا لقد بدأتْ تهتم.

- لماذا تصرخ؟ إذا كنت تحب اللعب بالأرقام فافعل ذلك بصوت منخفض.

- وهل تسمين هذا لعبًا؟. لقد تم خداعنا، أي قوس قزح هذا الذي يحتوي على ستة ألوان.

- إنه قوس قزحي. تعلم كم أكره البنفسجي.

- ولكنك تعلمين القواعد.. دون البنفسجي هو ليس قوس قزح من الأساس.

تجاهلتني واستأنفت اللعب، بينما شرعت في التفكير.. طريقة أعيد بها البنفسجي دون أن تشعر.

* * *

الأعمال الفائزة
في مسابقة دار ليلى
للقصة القصيرة التفاعلية
(المجال الإجتماعي)

صلوات الأيدي

بقلم:
عفاف خيري درباله- شيماء يوسف-
محمد مصطفى- ريهام عبدالحميد

أنام بعمق لأول مرة منذ زمن طويل، تتداخل أحلام بلا مغزى مع أصوات غير مفهومة، أستيقظ على صوت عال يخترق الضوضاء المحيطة بي ليصمت بعده الجميع..

"الله اكبر.. الله اكبر.."

استوعب ما يجرى في منزلي الجديد بعد حياة ليست بالقصيرة، كزينة في قصر جميل معلقة على حائط بارد لا تقربني يد، أتعرف على مغزى جديد لحياتي تختلف بعده نظرتي للأمور؛ فلم أكن اعلم أنني صنعت لألمس الأرض إلا هنا، حيث تلامس جباه كثيرة نسيجي الناعم.. انفض النعاس عني لأترقب بلهفة رفيقي القادم..

يد مرتبكة غريبة ترميني أرضًا بلا اهتمام وكأنها في سباق زمني، تتناثر أشياء ما حولي في عجلة قبل أن تكبر لتبدأ الصلاة..

يا لروعة التوقيتات التي تجعلني أصلى في المسجد ومنزلي على بعد شارعين!! مرور مختنق.. مترو يلفظ أنفاسه الأخيرة..

"سمع الله لمن حمده.."

تزداد كراهيتي لهذا الثعبان الذي يبتلع البشر

بطريقة أشنع من قرينه الأتوبيس.. المواطنون لم يتركوا مكانًا خاليًا.. يطوحهم السائق يمينا ويسارا..

مجنون!!..

تركع ولازالت الأفكار الحانقة تتطاير من عينيها..لماذا يدخل رجل إلى عربة السيدات؟!! صمت الجميع إلا سيدة منقبة لامته حتى فر في المحطة التالية..

"الله اكبر"

ما الذي يفعله هذا الكم من الجنسيات المتفرقة في مصر؟!! إنهم دوما هنا.. هل سأحاسب على هذا التمييز؟..

"سبحان ربى الأعلى"

رباه!!! في أي ركعة أنا؟!!.. سأنال جزائي على عدم تركيزي بالتأكيد، ولكنني رأيت من يفعل أفظع من هذا!.. تلك الفتاة التي رأيتها بالأمس نزع حجابها بمجرد الخروج من المترو!!، هل أكملت الركعات الأربع؟! ها أنا قد سجدت سجدتي السهو كعادتي!!.. تهرول بعد أن لملمت أشياءها المبعثرة وتركتني لأفكارها الثائرة.. ترى لماذا دخل الرجل عربة السيدات؟!!

تتناولني بأصابعها المرتعشة بينما تطأني من الطرف الأخر قدم..

- "منذ زمن وأنت غائبة، ألم تشتاقي للمسجد؟"

قبضت بأصابعها أكثر وهى تجذبني من أسفل قدميها الثقيلتين كوطأة كلماتها..

- "أشغال."

- "أوحشتني كثيرًا، اشهد الله أني أحبك في الله."

تتفادى النظر إليها وترفعني لتنفضني بشدة حتى أكاد أتفتت.

- "أحبك الله.. الذي..."

ما الحب سوى نغمات تتصاعد بلا صوت، وعبير بلا أزهار..

يؤذن المؤذن وتتبعه في الصلاة..

"الله أكبر.."

ما الحب سوى أصابع تتشابك خلسة بياسًا لا يربطها سوى الضى المترنح..

"سمع الله لمن حمده.."

صوته الهامس كالسحر تملكني. ما الحب سوى عقد ماسي بين اثنين وثجاجا يملأنا جمالاً..

"الله اكبر.."

ما الحب سوى مأساة تراجيديا يعتزل فيها احد البطلين الآخر.

"سمع الله لمن حمده.."

تنكمش أصابعها وتحاول مزج جبينها المتغضن ألمًا في جسدي..

"استرني يا رب."

ولأول مرة أتعلم طعم دموع الإثم.

نشاط دائم، أفكار متداخلة أكثر حيوية من أفكار

الحائط القديم، أدرك فجأة أنني قد انتقلت إلى مكان جديد.. أرجو من الله ألا يختلف كثيرًا عن مكاني السابق..

لم ألق هذا الاهتمام من قبل.. يسويني برفق ويمسد ثنياتي، يتأمل أطرافي ونسيجي يبحث عن الوجه الباسم الذي تشكله خيوطي في مخيلته..

كعادته جاء متأخرًاو آثر أن يُصلي منفردًا، ظل يقرأ ويكرر الفاتحة

إلي أن قطع شروده أحدهم وهو يمر من أمامه فجأة..

" من المفترض ألا يمر!! لو سمحت، يا حضرة إنت مش شايفني؟! قالها

بداخله دون أن يحرك ساكنًا، مرَّ أخرٌ! وقفت مجموعة من الأصدقاء

أمامه وكأنهم لم يروه!. صبَّ كل لعناته عليهم وهمَّ بالركوع

تراجع للوراء قليلاً حتى يتفاداهم في غيظ، سجد مناجيًا ربه، داعيًا

عليهم..

مازالوا يضحكون، تجاهلوه تمامًا إلي أن فرغ من صلاته.. التفت إليه

أحدهم ليخبره بأنه صلَّي العصرَ سبعة ركعات!

ابتسم....

أخيرًا اهتم به أحد!!

تعبرني خطوات متثاقلة، يمد يد متهالكة لتجذب

أطرافي للخلف قليلاً..

تذرف مقلتاه العبرات، وتغمرني قطرات ساخنة.. مؤلمة..

- "جئتِ مبكرًا هذه المرة.."

ابتسامة واهنة على وجه تغضنت ملامحه لم أدر أمن الشقاء أم عمر طويل مضى:

- "علَّ الله يلهمني السكينة."

يهز رأسه كأنما ينفض ما بها من كآبة ثم يبدأ في الصلاة..

"لا زال عوده أخضر لم ينضج بعد.. طفلي، سندي.. ليتني كنت بدلاً منك."

"سبحان ربى الأعلى.."

" من أحق بالمنية منى أنا الشيخ الهَرم ومن أحق بالعيش من فتى لم تتفتح عيناه بعد للحياة؟!!!"

"أشهد أن لا إله إلا الله.."

"اغفر لي يا إلهي فمصابي حقًا صعيب."

"السلام عليكم ورحمة الله.."

يعتصر الألم فؤاده بقبضة صخرية فيرتفع صوته هاتفًا:

- "إشفه يا الله.."

يفترشني الجسد المسن الضعيف ويتوسد رأسه بذراعه..

ثم يغلق عينيه..

هي المرة الأولى التي يطيل فيها شخصٌ ما

نعاسه ها هنا، أتململ في سأم حتى يفيق ولا جدوى، شملني الجسد الساكن ببروده عجيبة فاستحال الملل قلقًا غير مفهوم، لم ينقذني إلا قدوم خادم المسجد ليهزه في رفق تحول إلى شده محاولا إيقاظه قبل أن يصيح:

"لا حول ولا قوة إلا بالله لقد مات الرجل.."

وتعالى الصوت ليغمر المكان :

- "الله اكبر.. الله اكبر."

* * *

وتستمر الحكاية

بقلم:

أنس عبد الحميد- أحمد محمد أبوشرخ -
غادة علي- مروان محمد فؤاد - رزان محمود

أخذت العيون في اللمعان بداخل السيارة ٤٥٣ تراحيل بمجرد جلوس تلك الفتاة الصامتة التي يبدو علي وجهها الحزن والألم وسطهم، وبدأ مع لمعان العيون الهمسُ بين أفراد السيارة الذين قد بدوا في الظلام كأنهم أشباح، ولكنهم أشباحٌ صغار.. كانت مهمة هذه السيارة نقل هؤلاء الأحداث من قسم الشرطة إلي الإصلاحيات المسئولة عنهم والتي تم توزيعهم عليها، ولأنه لم يكن هناك عدد كافٍ من سيارات التراحيل ضُمت تلك الفتاة إلي هذه السيارة لتوصيلها إلي الإصلاحية المسئولة عنها..

وما إن خرجت السيارة من العمران إلي الطريق الصحراوي حتى بدأ الشياطين الصغار في إلقاء الكلمات البذيئة علي مسامع الفتاة، وعندما همّ بعضهم بالتحرش بها دافع عنها طفلان كانا جالسين في أحد أركان السيارة، ومن هنا بدأت أعمال الشغب فتوقفت السيارة، و خرج من بابها الأمامي شرطيان حاولا فض الاشتباك الذي تم بين الفتيان، ولكنهما لم يستطيعا فضه بدون إبعاد الفتاة والاثنين اللذيْن دافعا عنها خارج السيارة، فاتصل أحدهم بمركز الشرطة:

- ألو عمليات.. نحتاج إلي سيارة لنقل ثلاثة من المشاغبين إلي إصلاحيتهم، وإبعادهم عن باقي الفتيان..

- حدد موقعك؟

- الكيلو ٤٥ مصر- إسكندرية الصحراوي.

- عُلم، وسنرسل لك أقرب سيارة شرطة.

وعندما وصلت سيارة الشرطة أخذت المشاغبين الثلاثة - كما قال عنهم سائق السيارة- والشرطي المرافق إلي إصلاحياتهم، وفي السيارة شكرت الفتاة الاثنين الذين دافعا عنها، و بدأ كل منهم يحكي للآخر قصته؛ قصة مأساة عاشها كل منهم..

* * *

بدأ أصغرهم سنًا-(يزن)- بالكلام:

استيقظت على صوت خافت في غرفتي الصغيرة، فإذا بيد غليظة تكتم أنفاسي وتمنعني من الصراخ، غامت الدنيا أمامي، وعندما أفقت وجدت نفسي في غرفة مظلمة؛ مقيد الساقين واليدين بحبال غليظة موجعة.. كنت أتأوه وأرتجف خوفا، لم أكن أفهم ما الذي يحدث حولي، كنت صامتًا ومذعورًا طوال الوقت..

وحيدًا في غرفة موحشة وجدت نفسي، بعيدًا عن ألعابي و أصدقائي، وعن عائلتي..

ذات مساء.. حملني أحدهم بعد أن فك قيودي وجرني بقسوة خارج سجني، ليعرضني على رجل في الخمسينيات من عمره يدعى (عاصم)، كانوا يريدون بيعي لهذا الرجل بصفقة بغيضة..

وتمت الصفقة..

أخذت لأول مرة في حياتي أتعلم كيف أعمل من

دون راحـــة، وإن أخطـــأت أتلـــقَ عقابًـــا مؤلمًـــا بـــدًا بالضرب المبرح انتهاءً بالاعتداء علي في كل مرة..

و ذاتَ ليلـةٍ كنتُ أعدُ الشايَ لسيدي، فوضـعتُ الملـح بـدلاً مـن الـسكر خطـأ، وعنـدما تـذوق سـيدي الشاي، ارتفعت صرخته مدوية:

- اذهب واحضر العصا!!!..

وكالمعتاد هرعت مذعورًا لإحضار العصا.. هذه المرة كان ضربه قاسيًا جدًا، فلم أحتمل، تأوهت من الألم، وحاولت الإفلات من بين يديه، أفلتُ بالفعل، فركضت خائفًا إلى المطبخ، لحق بي سيدي غاضبًا ثائرًا فاختبأت تحت الطاولة؛ و....

منذ متى وهذه السكين هنا؟..

رددتُ هذه الكلمات بيني وبين نفسي، فخطرت لـي فكـرة: لِـم لا أخيفـه بالـسكين؟ ربمـا يتركنـي وشأني..

وبالفعل وبينما يحاول سيدي إخراجي من تحت الطاولة قمت بمحاولة أخيرة، مخرجًا سكيني متراجعا للوراء..

- لن تجرؤ! أسقطها وإلا ضربتك!!

كانت هذه من سيدي، لكني تراجعت أكثر، وأنا أبكي قائلا:

- أرجوك دعني وشأني..

غضب سيدي بشده واندفع نحوي بعنف، رفعت يدي بسرعة لأحمي وجهي من صفعته الأكيدة..

شعرت بيدي ترتطم بشيء ما، فتحت عيناي لأجده ينظر نحوى بحدقتين متسعتين ومقبض السكين يخرج من عنقه، والدماءُ تسيلُ على يدي بغزارة..

خرجت مذعورًا، كانت الدماء تغطي جسدي، وأنا أرتجف.. لقد قتلته!.. قتلت السيد (عاصم)!!.. رباه ماذا أفعل!!!..

من شدة خوفي وذعري ارتميت أرضًا أمام باب منزله، لم أعرف ماذا أفعل؟!!، وما هي إلا برهة من الزمن، حتى رآني جار سيدي على هذه الحال، ورأى الباب مفتوحًا على مصراعيه، فجذبني من يدي بقسوة، وهزني بشده، وهو يسألني:

- ما الذي فعلته؟!..

فأشرت إلى الداخل بيد مرتجفة، ومن ثم حدث كل شيء بسرعة..

* * *

بعد انتهاء (يزن) من سرد قصته التفت إلى رفيقيه وسألهما عن قصتيهما، فشرع (لؤي) يقص حكايته عليهما:

ككل ليلة اضطر إلى البقاء متيقظًا حتى الصباح، وأظل منكمشًا على نفسي منزويًا بركن بعيد عنهم حتى أحتفظ بآدميتي.. فينتهي الليل بجسدٍ سليمٍ أحيانًا، وبندوبٍ في الروح والجسد أحايين..

عودي يا أمي.. وضميني..

أدعو الله كل ليلة أن تعود أمي عزيزة -زوجة أبي- من قريتها.. دعوة طفل في الخامسة عشر، لم

يتوان عن الهمس بها؛ علّها تصادف بابًا في السماء مفتوحًا فيُستجاب لها..

يأتي النهار..

أشرع عقب صلاتي بملأ دلو من الماء، وأسحب فوطتي الصفراء، لأمارس نشاطي النهاري الذي يورثني أصابعًا متجمدة وبعض الفكة؛ يلقيها أصحاب السيارات وهم كارهون..

أنهى عملي قبل انقضاء ساعاتِ النهار الأولى وأفكر.. أنتظر عودة أمي.. لتسترجع بيتنا من صاحب العمارة الجشع الذي طردني بمجرد سفرها، ستعيدني إلى مدرستي، سترحمني من تجمد أصابعي المقيت كل صباح، ومضايقة الصبّع في المساء..

غادرتني أمي بعد وفاة أبي بعامين، هي الريفية التي لا تفهم كثيرًا في المعاملات المالية، وكانت كل نقود أبي قد نفدت في خلال هذين العامين.. لم تدر ما تفعل بي!!.. قالت إنها ستسافر طلبًا للمساعدة من أخوالي وستعود..

تركتني هنا حفاظًا على آخر ما تبقى لنا من أبي رحمه الله، لكن قد حدث ما خشيته رغمًا عنها..

قبيل الغروب..

سقطت عليّ بضع ياسمينات، هز نسيم بارد فروعها فتساقطت، كأنما تلطف بوجودها الحاني وقع ألم الذكرى بداخلي..

اعتدتُ الاستيقاظ في هذا الوقت لأبدأ يومًا جديدًا... تلح معدتي الخاوية أن أسكت جوعها،

فمضيت نحو عربة الفول لأبتاع طعامًا، وجدت فتاتين تسرعان الخطى، وخلفهما عددٌ من الفتية، ومن الجهة الأخرى من الشارع جاء عددٌ آخر، كأنما ليسدوا المخارج.. دفعوهما نحو زقاق ياسمينتي، ركضت نحوهم وأنا أصرخ أن أتركوا الفتاتين وشأنهما، فالتفت إليَّ بعضهم في شراسة، ما أثار قلقي بالفعل ليس مديهم وإنما كثرتهم، فتريثت لبرهة إلا إنني اندفعت عندما سمعت صراخ الفتاتين يتعالى، ركلت أول من وجدته في مواجهتي متفاديًا الطعنات التي راحت تُسدد إلي..

أيقنت بعدم جدوى ما أفعله فلن يتورعوا عن قتلي، ثم فجأة تناهت إلى مسامعنا صوت أقدام تركض وشتائم تنطلق، رآهم الفتية قبلي إذ كان ظهري للقادمين، فاندفعوا هاربين، لكن أمناء الشرطة وعدد ممن اجتذبتهم الصرخات أحاطوا بنا جميعًا، وضربونا بشدة، وقبضوا علينا.. حاولت عبثًا إفهامهم أني إنما كنت أدافع عن الفتاتين، إلا أن أحدًا منهم لم يعرني اهتمامًا، اقتادونا جميعًا إلى قسم الشرطة..

* * *

نظرا سويًا إلى الفتاة التي بدأت حديثها بعينين ما زال الدمع يترقرق فيهما:

لا أدري بالضبط لماذا أخذوني؟... لقد بكيت كثيرًا ولم يهتم أحد!!.. كان والداي ينظران لي برعب، ومن ثم اقتادتني الشرطة بعيدًا..

لقد كنا ثلاثًا أنا ووالديَ... أبي حنون جدًا

ويبتاع لي دوما ما أريده، لكنه يتعب كثيرًا ولذلك أمي دائما تساعده.. أمي حبلت بطفل رغم رفض أبي للموضوع، بينما كنت أنا سعيدة لأنـي أردت أخـا يشاركني اللعب...

ولد الصغير.. كان كالقمر.. كنت فرحة به جدًا.. لكن بعد ولادته طرد والدي من عمله، وخضعت أمي لعملية جراحية، ومن ثم توالت المصائب الواحدة تلو الأخرى، وتكاثرت الأقاويل..

سمعت أبي مرة يقول لها:

ـ يبدو الأمر صحيحًا.. ابننا يجلب النحس لمن حوله، حتى أقاربنا أصبحوا يتشاءمون منه..

ذات مرة سمعت الأطفال يلقبونني "بأخت النحس".. بكيت حينها في غرفتي بصمت، لا أريدهم أن يروني أبكي فيزيد حزنهم.. منذ مجيء أخي ونحن نعيش في حزن.. لم يستطع أحد أن يحل المشكلة؛ لكني سأفعل..

كنا ثلاثة وكنا سعداء؛ حين جاء أخي للدنيا صرنا أربعة.. ربما الله يحبنا ثلاثة فقط..

لم يكن هناك أحد في البيت إلا أنا والخادمة... حينما ذهبت لغرفة أخي كان نائمًا لكني حدثته وهو نائم؛ أخبرته عما قالته معلمة التربية الإسلامية في المدرسة.. لقد أخبرتنا أنه من يموت طفلا سوف يصبح عصفورًا في الجنة.. من المؤكد أنه سيحب أن يكون له أجنحة يطير بها، ونحن سنحب أن يكون لنا حياة سعيدة مرة أخرى..

كلنا سنصبح سعداء.. حينها خنقته بالوسادة، فعلتها بسرعة كي لا يتألم لكنه بكى قليلا فسمعته الخادمة، وجاءت مسرعة.. كان قد مات، سيصبح عصفورًا.. صاحت الخادمة وهي تبكي بدورها:

ـ ماذا فعلتِ يا مجنونة؟!..

عبست في وجهها:

ـ لم أفعل شيئًا سيئًا.. لقد عدنا ثلاثة..

ذهب العضو الرابع.. أخيرا ذهب..

ذهب..

* * *

خيم الصمت على الثلاثة مع نهاية قصة عبير، وظهر الذعر بعيون الطفلين وهما يرقبان ملامح عبير، التي رغم عبوسها نطقت برقة الدنيا كلها... لم يجرؤ أحد على كسر الصمت الذي أحاط بهم وهم ينطلقون نحو وجهاتهم...

بلغت سيارة الترحيل دار الفتيات، فخرجت المشرفة وضابط الحرس لاستلام عبير التي نزلت مستسلمة وعينيها تودع الصغيرين داخل السيارة...

أكملت السيارة طريقها لتصل إلى الدار الأخرى، فخرج منها الصبيان بصحبة سائق السيارة هذه المرة، وهو يدفعهما أمامه ليسلمهما إلى المشرف..

* * *

بدأ التحقيق مع (لؤي) عند الغروب، قاده الشرطي إلى الضابط المسئول، وقف لؤي أمامه وجلاً، نظر إليه الضابط الكبير باستخفاف قائلاً:

- وأنت ما حكايتك؟

تلعثم (لؤي) للحظات، ثم بدا يحكى حكايته؛ وما إن انتهى حتى انفجر الضابط ضاحكًا، وقال:

- نعم بالطبع، إنك الملاك البريء!!..

ثم مال بصرامة نحوه، وقال:

- أتظن أنك أول من يأتي إلينا هنا؟ أخبرني الحقيقة وإلا!..

تراجع (لؤي) مذعورًا وهو يقسم أن هذا ما قد حدث، فأمر الضابط بإعادته لغرفته حتى يقر بالحقيقة!!..

في الجانب الآخر من المبنى كان (يزن) يجلس مذعورًا؛ وهو يراقب بعينيه الفتية الذين حاولوا التحرش بالفتاة يلتفون حوله، وأكبرهم ينظر إليه بجذل وحشي:

-إذن أنت الفتى الشهم، أليس كذلك؟..

وقبل أن ينطق بأي رد إنهالت عليه اللكمات من كل اتجاه حتى سقط مغشيًا عليه، حينها قال أكبرهم:

-يكفى هذا اليوم، سنكمل عملنا غدًا، وانطلق في ضحكةٍ وحشية مبتعدًا، بينما قال أحدهم:

-وكل يوم..

فردد أكبرهم حجمًا:

-نعم بالطبع، وكل يوم..

وساروا جميعًا ضاحكين..

جلست الفتاة في ركن الغرفة، وهي تضم ركبتيها

إلى صدرها، وتفكر: لماذا لم يأتِ أبي لأخذي؟!.. لا بد أنه سيأتي الآن، لكن لماذا تأخر؟!.. ظلت هذه الأفكار تدور برأسها حتى دق في المكان جرس ميعاد النوم، فتوجه الجميع إلى الأسرّة..

أطفأت المشرفة الأنوار، وظلت الفتاة على جلستها تسبح في ظلام يشبه كثيرًا مستقبلها..

ظلام دامس..

* * *

الفهرست

قصص

أشـــعار

أعمال الجلسة الثقافية

* * *